الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

هدية

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1)

العدد 186

جمادى الأولى / جمادى الآخرة 1448هـ تشرين الثاني / كانون الأول 2026م

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحـرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج

يوسف تيسير محمود

هيئة التحـرير

أ. د. جمال أحمد زيد الكيلاني

أ. د. حسن عبد الرحمن السلوادي

د. صبحي محمد عبيد

د. محمد خليل جاد الله



المراسلات: مجلة الإسراء

الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 - القدس / ص.ب : 1862 رام الله - تلفاكس : 6262495 ـ 02 / 2348603 ـ 02

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.ps للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.ps

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

القدس عاصمة فلسطين الأبدية



فهرس العدد

افتتاحية العدد

اللهم إن لم يكن بك علينا غضب فلا نبالي	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

فتور الهِمَم	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	15

فقه

نظرة شرعية في استعــطاف الجدين، للتنازل عن حصصهم الإرثية للأحفاد	أ. د. جمال أحمد زيد الكيلاني	28

مواعظ

بشائر النصر على ضفاف اليقين	أ. روان الشيخ	35
قد تنجو بعملٍ نسيته	أ. مهدي سليم	43

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديـــــار الفلـسـطينية	50

أخلاق وقيم تربوية

الأخلاق فريضة شرعية وضرورة بشرية	د. محمد خليل جاد الله	59
لا تَصحبنّ خمسة ...	أ. كمال بواطنة	71
حقوق الطريق وأثرها في المجتمع	أ. يوسف عدوي	78

هامات وذكريات

في ذكرى وفاة الصديق، رضي الله عنه	الشيخ د. أحمد شوباش	85
الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي عثماني	د. حمزة ذيب	98
النزعة والروح		

أدبيات

اقرأ وتذكر	أ. إيمان تايه	103
قصيدة .. فؤادٌ منكسر	أ. زهدي حنتولي	106

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	107
مسابقة العدد 186	أسرة التحرير	112
إجابة مسابقة العدد 184	أسرة التحرير	113
ضوابط الكتابة	أسرة التحرير	114

افتتاحية العدد

اللهم إن لم يكن بك علينا غضب فلا نبالي



الشيخ محمد حسين/ المشرف العام

لسان حالنا ونحن نعاني الأمرين براً وبحراً وجواً، يقول: "اللهم إليك نشكو ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس"، فما نعانيه بالغ الشدة، وشديد الألم، إضافة إلى أنه محير للغاية، إذ تواجهنا فتن كقطع الليل المظلم، نمسي على جراح، ونصبح على قتل وتضييق خناق، فرغت الجيوب، وابيضت الصحون، ورجعت الشيكات، واجتاحتنا أوبئة لم تكن في قواميس أجدادنا، مما ليس لها علاج في مشافينا، وبات الموت قاب قوسين منا، الموت الذي ينتظرنا وغيرنا ويُغيِّبُ النفوس والأحبة، وتقلبت المعايير، وليت المكاييل تنحصر في اثنين فحسب، بل صارت كثيرة، كل يكيل وفق هواه، ليس لنا أمل منظور إلا رجاء الله، واستجداء لطفه، فيا رب إن لم يكن بك علينا غضب فلا نبالي مما نحن فيه، فرضاك غايتنا المنشودة، ورحمتك أملنا المرتقب، فيا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربنا إلى من تكِلنا؟ إلى من تتركنا في هذا التيه؟ فأنت نصير المستضعفين، والمنتقم من الظالمين، وقاصم الجبارين، أنت الولي والنصير، أنت القائل: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}(آل عمران:160) والمؤمنون تلقوا وعدك الصادق، المتضمن في قولك الكريم: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ

وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}(محمد:7)، وما زالوا يرقبون إبصاره، وتلمس آثاره، والعيش في ظلاله.

ابتهالات متفائلة:

يا رب زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، في حال لا يقل كثيراً عن الحال المشار إليهم في خبرك الصادق: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا}(الأحزاب:10)

فقد أزفت علينا أزفات الدنيا، ونرى أنه ليس لها من دونك كاشفة، يا عزيز يا جبار، يا واحد ياقهار، اكشفها عنا، ونجنا مما نحن فيه، وفرج كربنا العظيم، فأنت الناصر والمنجي، أنت الذي أخرجت يونس من بطن الحوت، بعد أن التقطه وهو مليم، فنبذته بالعراء وهو سقيم، وأنبتَّ عليه شجرة من يقطين.

وأنت ربنا فلقت البحر لموسى، بعد أن أوحيت له أن يضربه بعصاه، فانفلق بقدرتك، فكان كالطود العظيم، وأنت سبحانك قلت للنار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم فكانت، وأنجيت محمداً ممن وقفوا باب الغار وهو وصاحبه فيه، وأطريت على نصرهما في هذا الموقف العصيب بقولك: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(التوبة:40)

وأنت جل جلالك مننت على المسلمين بنصرك المبين، وهم يعانون القلة والاستضعاف، فقلت في ذلك: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (آل عمران: 123)

فانصرنا يا رب كما نصرت البدرين، واجعله نصراً عزيزاً مؤزراً، نستغني به عمن سواك، وأنت الواحد الأحد الفرد الصمد، القهار العزيز الجبار، ذو القوة المتين.

نتلمس نصرك وعونك الشافي الكافي يا الله، ونحن نعايش الابتلاءات التي ذكرتها سبحانك في قولك العزيز: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}(البقرة:155)، فقد ابتُلينا بالخوف المرعب، والجوع المفرط، ونَقَصتْ أموالنا، بل طارت أدراج الرياح، أما الأنفس فنقصُها تدفق بالمئات، ولا يكاد يوم يمر دون سقوط هنا، وارتقاء هناك، وحال الثمرات حزين، فقد اقتلعت منها أشجار زيتون معمر، إضافة إلى حرق دونمات من أراضينا، التي تحتضن أعز الثمار وأبركها، فألهمنا يا رب مزيداً من الصبر، وأبعد عنا الجزع واليأس والإحباط، وأنت أمرت بزف البشرى للصابرين، فقلت بعد سرد أنواع من الابتلاءات التي ذقنا طعمها، وتجرعنا ويلها، وقولك حق: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} وقد أمرت سبحانك بالاستعانة بالصبر والصلاة، كما في قولك جل شأنك: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (البقرة:153) فاجعلنا يا رب مع الصابرين المُبشرين، ومع المستعينين بالصبر والصلاة في معاشنا كله، واجعلنا من الصابرين في السراء والضراء، الذين أثنيت عليهم بقولك الكريم: {... وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (البقرة:177)، وفي ظل ما نحن فيه دائماً وأبداً نتلمس أن نحظى بمعيتك الشريفة، التي وعدت بها الصابرين مصداقاً لقولك العزيز: {وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (البقرة:249)، وقد قلت كذلك: {...وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (الأنفال:46) ووعدت سبحانك المؤمنين بنيل معيتك

حتى مع قلة عددهم ومحدودية إمكاناتهم، مصداقاً لقولك الكريم: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (الأنفال:66) ولن يخيب من ينال معيتك سبحانك، ولن يبوء من نالها بفشل قاصم، مهما كان حاله، والصابرون هم أحبابك الذين ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا، وما استكانوا، وقد قلت فيهم: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} (آل عمران:146) هم أولئك الذين تولت حمايتهم كما جاء في الحديث القدسي الذي يرويه عنك حبيبك ونبيك وخاتم رسلك وأنبيائك: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ».[1]

ووَلِيُّ اللَّه، هو الْعالم بِاَللَّه، الْمواظب عَلَى طاعَته، المخلص في عبادته، قال ابن هبيرة في "الإفصاح": قوله: "عادَى لي ولياً" أي اتخذه عدواً، وهو يتضمن التحذير من إيذاء قلوب أولياء الله.[2]

إلى من تتركنا ربنا؟؟

ربنا إلى من تتركنا بحالنا الصعب الذي نحن عليه؟ وإلى من نفوض أمرنا؟ إلى بعيد يتجهمنا، ويَلْقانا بالغِلْظة، والوجه الكريه، أم إلى عدو ملكته أمرنا، يتسلط على إيذائنا، ولا نستطيع دفعه؟!

إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي، لا نكترث ببجاحة الذي يؤذينا، فنحسب أننا بعونك أهل الإيمان والصبر، واليقين بنصرك الموعود، فلا نبالي بقسوة العيش،

1. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.
2. فتح الباري: 18 /342.

ولا بمرارة الحرمان، ولا بالموت، الذي هو حق، وكل نفس ذائقته في الزمان والمكان المحددين في صحائف الأقدار، مصداقاً لقولك العلي: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ...} (النساء:78) ولن ينفعنا الحذر من القدر، مصداقاً لقضائك القاطع الحاسم الجازم: { ... قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ...} (آل عمران: 154)

فتولَّ أمرنا ربنا، ونجنا مما نحن فيه من كرب وعسر، فإن كنت معنا وراضياً عنا، فلا نبالي، فمن كان في معيتك فهو الآمن، فدافع عنا يا كريم، وقد وعدت المؤمنين بأن تدافع عنهم، حيث قلت جل شأنك: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا...} (الحج:38)، ومن يكن في معية الله فلا غالب له، فهو يمد عباده المصطفين بملائكته دون تحفظ، وقد طمأن الرسول، صلى الله عليه وسلم، المسلمين لهذا المدد العظيم، كما أخبر عن ذلك رب العالمين بقوله تعالى: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ} (آل عمران:124)

فعافيتك يا رب أوسع لنا، فهي السلامة من البلايا والأسقام، فنعوذ بنور وجهك الكريم الشريف النافع الذي يدوم نفعه، الذي أضاءت له السماوات والأرض، وأشرقت له الظلمات، وامتلأت به.

سلمة بن الأكوع يحررلِقَاح النبي، صلى الله عليه وسلم:

يا رب انصرنا بمثل سلمة بن الأكوع الذي حرر لقاح نبيك، صلى الله عليه وسلم، من غطفان يوم الرضع، حسب ما ثبت في الخبر الصحيح عنه، رضي الله عنه، فقد روى يَزِيدُ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: «سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ، يَقُولُ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ

بِالأُولَى، وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَرْعَى بِذِي قَرَدَ، قَالَ: فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ: غَطَفَانُ، قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهْ، قَالَ فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ المَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْتَقُونَ مِنَ المَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُولُ أَنَا ابْنُ الأَكْوَعْ ... وَاليَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ وَأَرْتَجِزُ، حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ حَمَيْتُ القَوْمَ المَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: يَا ابْنَ الأَكْوَعِ، مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا المَدِينَةَ».[1]

معاني بعض عبارات هذا الخبر:

يُؤَذَّنَ بِالْأُولَى: يعني صلاة الصبح.[2]

لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ: اللقاح: جمع لقحة، بكسر اللام وفتحها، وهي ذات اللبن، قريبة العهد بالولادة.[3] وقال ابن سعد: كانت لقاح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عشرين لقحة ترعى بالغابة.[4]

تَرْعَى بِذِي قَرَدَ: ذي قرد بفتح القاف والراء، ماء على نحو يوم من المدينة، مما يلي بلاد غطفان.[5]

يَا صَبَاحَاهْ: معناه: قد أغير عليكم في الصباح، أو قد صوبحتم فخذوا حذركم.

1. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذي قرد.
2. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 26 /43.
3. صحيح مسلم بشرح النووي: 6 /266.
4. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 22 /113.
5. شرح السيوطي على مسلم: 4/418.

وفيه جواز الأخذ بالشدة، وفيه تعريف الإنسان بنفسه في الحرب شجاعته وتقدمه.[1]

فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ: أي أسمعت ما بين لابتي المدينة، واللابة الحرة.[2]

والحرة بفتح الحاء، وتشديد الراء، أرض بظاهر المدينة فيها حجارة سود كثيرة.[3]

وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ: الرضع: الواحد راضع.[4]

وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ: أي يوم هلاك اللئام الذين يرضعون الإبل، ولا يحلبونها خوفاً من أن يسمع حلبها من يستميحهم، ويكون كناية عن الشدة، كقوله تعالى: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ...} (الحج:2)[5]

وقيل: معناه اليوم يعرف من رضع كريمة فأنجبته، أو لئيمة فهجنته. وقيل: معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره، وتدرب بها. ويعرف غيره.[6]

قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ: أي منعتهم إياه.[7]

وَهُمْ عِطَاشٌ: يحضه على اتباعهم وإهلاكهم. أي إن القوم عطاش، وهو جمع عطشان.[8]

وقوله: وإني أعجلتهم قبل أن يشربوا سقيهم، بكسر السين وسكون القاف، وهو الحظ من الشرب، وأن يشربوا مفعول له أي كراهة شربهم.[9]

1. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 22 /113.
2. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 22 /113.
3. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 26 /43.
4. شرح السيوطي على مسلم: 4 /418.
5. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ص: 52.
6. صحيح مسلم بشرح النووي: 6 /266.
7. شرح السيوطي على مسلم: 4 /418.
8. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 22 /114.
9. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 22 /114.

مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ: أي أحسن وأرفق.[1]

والسجاحة: السهولة، أي لا تأخذ بالشدة، بل بالرفق، فقد حصلت النكاية في العدو، ولله الحمد.[2]

مَلَكُ الجبال حمل عرضاً من الله ثقيل:

يا رب انصرنا بِمَلَكِ الجبال، الذي بعثته لنبيك المهموم على وجهه، صلى الله عليه وسلم، ليأمره بما يشاء، في يوم كان أشد عليه من يوم أحد، حسب ما ثبت في حديث عُرْوَة أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)[3].

وقدرة الله غير محصورة في زمان ولا مكان، ولا بشخوص دون سواهم، فهو القادر الذي إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في

1. شرح السيوطي على مسلم: 4 /418.
2. صحيح مسلم بشرح النووي: 6 /266.
3. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء آمين ...

السماء، مصداقاً لقوله عز وجل: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} (فاطر:44)، وتفاصيل نجدة الله للمستضعفين، وانتقامه من الظالمين، حظيت بذكر أخبارها السطور الموثوقة، وعاشها الناس سابقاً، وما زالوا يعيشونها لاحقاً، لكن الأعين العمي مغشى عليها، فلا تبصرها، وحاشا لله أن يقصد هنا فقد الرؤية البصرية، وإنما تلك التي فقد أصحابها القدرة على الإبصار بسبب ما أغشي على عيونهم، وطمس على قلوبهم، وقد قال الله فيهم: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}(الحج:46)

الاعتبار من مداولة الأيام والعاقبة للمتقين:

عملاً بمقتضى الأمر الرباني المتضمن في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ} (غافر:21)، يجدر بكل عاقل أن ينظر ويتفكر في أحوال الخلق قديمها وحديثها، فما عمر ظالم في الأرض إلا كانت عاقبته وخيمة في الدنيا، عدا عما ينتظره في الآخرة، والمبتلون من المستضعفين في الأرض لن يفقدوا الأمل بربهم، وهم يوقنون أن الله يداول الأيام بين الناس، مصداقاً لقوله، عز وجل، الذي أنزله على قلب نبيه المصطفى، صلى الله عليه وسلم، في أعقاب غزوة أحد التي أصابت المسلمين فيها الجراح: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ

شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (آل عمران:140)

وما ينبغي ترسيخه والتأكيد عليه دائماً في يقين المؤمنين وقلوبهم، أن العاقبة للمتقين، ولو ابتُلوا وزُلزلوا، وقد أخبر الله عن تأكيد موسى لقومه ذلك، فقال تعالى: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (الأعراف:128) وقال جل شأنه: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} (هود:49) وفي سورة القصص يقول عز وجل: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (القصص:83)

وعن مداولة الأيام، والاتعاظ بها، نظم الشاعر أبو البقاء الرُّندي من العصر المملوكي(*) قصيدة تحفز على أخذ العبر والعظات من تبدل الأحوال والظروف، تبعاً لتغير أحداث الزمان، التي لا تستقر على حال، ومما قال فيها:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ ... فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ ... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءتْهُ أَزْمَانُ

وهذهِ الدارُ لا تُبْقي على أحدٍ ... ولا يدومُ على حالٍ لها شانُ

يُمَزق الدهرُ حتمًا كلَّ سابغةٍ ... إذا نَبَتْ مَشرَفِيات وخَرصانُ

وللحوادثِ سُلوانٌ يُسَهِّلُهَا ... وَمَا لِمَا حلَّ بالإسلامِ سُلوانُ

يا غافلاً ولهُ في الدهرِ موعظةٌ ... إنْ كنتَ في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ

* صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف، أبو الحسن، المعروف بأبي الطيب وأبي البقاء النفزي الرندي (ولد نحو 601 هـ / 1204 م.

وماشيًا مرحًا يُلهيهِ موطنُهُ أبَعْدَ حمصٍ تَغرُّ المرءَ أوطانُ

ونظراً لعمق معاني هذه القصيدة وجزالتها، وصلتها الوثيقة بأحوالنا التي نعيش، فقد آثرنا الاستشهاد ببعض أبياتها في هذا المقام، عسى أن يتم استخلاص العبر منها، والاتعاظ من تقلب الأحوال وتبدل الظروف مطلوب من المبتلين، ومن معايشي الظروف، من ناحية، ومن الظالمين أنفسهم الذين قصمت ظهور من كانوا أشد منهم بطشاً وقوة وغطرسة، فيا رب العالمين إن لم يكن بك علينا غضب فلا نبالي مما نحن فيه، فعجل لنا بفرج من عندك قريب، وما ذلك على الله بعزيز.

وما ينبغي ترسيخه والتأكيد عليه دائماً في يقين المؤمنين وقلوبهم، أن العاقبة للمتقين، ولو ابتلوا وزلزلوا، وقد أخبر الله عن تأكيد موسى لقومه بذلك، فقال تعالى:{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (الأعراف:128) وقال جل شأنه: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}(هود:49) وفي سورة القصص يقول عز وجل:{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}(القصص:83)



فتور الهِمَم

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

اندفاع الإنسان تجاه أمور معينة فعلاً وتركاً، تتفاوت وتيرته بين النشاط والخمول من حين لآخر، فتارة يكون في ذروة الاندفاع نحو الأداء وحبه، وفي أخرى تفتر الهمة بدرجات، حتى إن المرء الذي يؤدي فعلاً ما في ظرف معين، وهو في منتهى النشاط وقمة الرغبة والصفاء، فإنه يؤدي الفعل نفسه أحياناً بهمة أقل، ويؤسر نشاطه لأداء الفعل نفسه أحياناً بالخمول والكسل، وكأنه يريد إسقاط الواجب عن كاهله فحسب، ومن الطبيعي أن تكون أسباب للنشاط مرتفع الوتيرة، وأخرى للدرجات الأضعف، ومنها حال الكسل والخمول. ويشهد للحال المتذبذب بين ذروة النشاط وحال الكسل والخمول واقع الخلق، وأدلة شرعية، عسى أن ييسر الله الوقوف عند دلالة بعضها، واستنباط الدروس والعبر منها، مع التركيز على المقبول شرعاً من هذه الأحوال والمرفوض، بعد التقديم لذلك ببيان معنى الهمم والفتور، والتذكير بأن الإسلام دين الوسطية السمحاء، الذي لا تفريط فيه ولا إفراط، وما يساعد على إذكاء روح الهمم، وإطفاء منحى الخمول والكسل في أداء الواجبات والطاعات والخيرات.

معنى الهمم:

الهِمَّةُ: ما هُمَّ به من أمر ليفعل، والهوى والعزم القوي، وجمعها همم.[1]

والهِمَّةُ واحدة الهِمَمِ، يُقال: فلان بعيد الهِمَّةِ، بكسر الهاء وفتحها.[2]

والهُمَامُ: المَلِكُ العَظيمُ الهِمَّةِ، الَّذي إِذَا هَمَّ بأَمْرٍ فَعَلَهُ؛ لِقُوَّةِ عَزْمِهِ. وأَيْضاً السَّيِّدُ الشُّجَاعُ السِّخِيُّ، خَاصٌّ بِالرِّجَالِ، ولاَ يَكُونُ فِي النِّسَاءِ، والهُمَامُ: الأَسَدُ، عَلَى التَّشْبِيهِ. يُقَالُ: إِنَّهُ لَبَعِيدُ الهِمَّةِ، والهَمَّةِ، وَقَالَ العُكْبَرِيُّ: الهِمَّةُ: اعْتِنَاءُ القَلْبِ بِالشَّيْءِ، وَقَالَ ابْنُ الكَمَالِ: الهِمَّةُ: قُوَّةٌ رَاسِخَةٌ فِي النَّفْس، طَالِبَةٌ لَمَعَالِي الأُمُورِ، هَارِبَةٌ مِنْ خَسَائِسِها، والهِمَّةُ: الهَوَى، ويُقَالُ: هذا رَجُلٌ هَمُّكَ.

ويقال لصاحب الهمَّة إنَّه لَبَعِيدُ الشَّأْوِ.[3]

والنَّهْمَةُ بُلُوغ الهِمة في الشيء، وقد نُهمَ بكذا نَهْمةً، فهو مَنْهُومٌ، أي مولع به، وفي الحديث: "منهُومان لا يشبعان،منهوم في علم لا يشبع، ومنهوم في دنيا لا يشبع"[4]، والنَّهَمُ بفتحتين، إفراط الشَّهوة في الطعام.[5]

معنى الفتور:

فَتَرَ يَفْتُرُ ويَفْتِرُ فُتُوراً وفُتاراً: سَكَنَ بعدَ حِدَّةٍ، ولانَ بعدَ شِدَّةٍ. وفَتَّرَهُ تَفْتِيراً.

وفَتَرَ الماءُ؛ سَكَنَ حَرُّهُ، فهو فاتِرٌ وفاتورٌ. وأَفْتَرَهُ الدَّاءُ: أَضْعَفَه. وطَرْفٌ فاتِرٌ: ليسَ بِحادِّ النَّظَرِ.[6]

1. المعجم الوسيط، 2 /995.
2. مختار الصحاح، 705.
3. تاج العروس من جواهر القاموس ج38 ص347.
4. المستدرك على الصحيحين للحاكم 1 /169، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
5. مختار الصحاح ص688.
6. القاموس المحيط ص583 - 584.

وفي التنزيل العزيز: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ}(الأنبياء: 20)

يقال فترت المفاصل، وفتر الماء الساخن، وفتر البرد، وفتر الطرف؛ انكسر نظره، وفتر عن عمله؛ قصر فيه، وفتر إلى الشيء: اطمأن وسكن. وفتر الشيء فتراً: قدره بفتره.

وأفتر، ضعفت جفونه فانكسر طرفه، وأفتر الداء ونحوه فلاناً أضعفه.

والفاتر: ما بين الحار والبارد، ويقال طرف فاتر، فيه ضعف مستحسن.

والفتر: الضعف.(*)

المعنى الإجرائي لفتور الهمم هنا:

بناء على المعاني اللغوية السابقة للهمم والفتور، يمكن تعريف فتور الهمم: بأنه حال تنخفض فيه وتيرة الاندفاع للقيام بعمل معين عن المستوى الأمثل، ويكون ذلك في مختلف النشاطات.

أسباب الفتور عن الهمم وعلاجه:

يرجع فتور الهمم لأسباب كثيرة، على رأسها أن قابلية فطرة الإنسان وطبيعته مستعدة لذلك، فلا تدوم أحوال الخلق على حال، وقلوب العباد يقلبها الله كيف يشاء، وهناك أسباب أخرى واقعية تؤثر في الهمم، وتؤدي إلى فتورها، منها: أحوال المرء النفسية والعاطفية، وظروف معيشته، وانشغال باله بأمور وديون والتزامات اقتصادية ومعيشية واجتماعية، واضطراب أوضاعه الأمنية، وما إلى ذلك من ظروف وأحوال ومسببات.

* المعجم الوسيط ج2 ص672.

المقبول شرعاً من فتور الهمم والمرفوض:

أسمى صور الهمم تلك التي تكون من قبل الملائكة الذين أثنى الله، عز وجل، عليهم، كونهم لا يستكبرون عن عبادته، ويسبحون الليل والنهار، لا يفترون، فقال تعالى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} (الأنبياء:19 - 20)، فالملائكة هم أقرب الخلق إلى اللّه، وهم مع هذا القرب، وفي تلك المنزلة التي هم فيها، لا يفترون: أي لا يتراخون، ولا ينقطعون عن العبادة، لحظة، أو فترة..(*)

والناس يختلفون عن الملائكة في الطبيعة، فيُقْبِلون ويُعرضون ويَفتُرون، فيُقْبل منهم فتور الهمة لدرجة معينة، فإذا فترت الهمة للحد الأدنى من مستوى قبول أداء الطاعة بفرائضها وأركانها وشروطها الشرعية، فيقبل ذلك، لكن إن انحدر الفتور لمستوى الكسل والخمول والتثاقل، فيرفض ولا يقبل، وقد ذم الله الذين يقومون إلى الصلاة كسالى، فقال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} (النساء:142)، ويقول جل شأنه بحقهم كذلك: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ}(التوبة:54)

وبما أنّ الناس يتعرضون لفتور الهمم، فقد نبههم الله إلى لزوم المحافظة على البقاء في ربقة الإسلام، حتى لا يباغتهم الموت وهم غير مسلمين،فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}(آل عمران:102)

ووصى إبراهيم بنيه ويعقوب بذلك، فقال عز وجل: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ

* التفسير القرآني للقرآن ج2 ص281.

وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ{(البقرة:132)

الإسلام دين رباني يراعي فطرة الخلق ومتطلباتها وأحوالها:

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا يفرض عليهم ما لا يطيقون، من هنا لم يفرض عليهم الرهبانية، ولما ظن بعض خيار المسلمين أن خللاً يعتريهم بسبب فتورهم في لحظات معينة عن مستوى حماسة أرقى وأرفع، كانوا عليها في أوقات أخرى، صحح لهم الرسول، صلى الله عليه وسلم، المفهوم بطريقة غاية في العمق التربوي والواقعي، فعَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِي، قَالَ : - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم- قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ".(*)

* صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا.

يبين علي القاري في مرقاة المفاتيح أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، يقسم بالله، لو يدوم صحابته في حال غيبتهم عنه على ما يكونون عليه وهم عنده؛ أي من صفاء القلب، والخوف من الله تعالى، أو من دوام الذكر، وتمام الحضور، وهم بُعَداء عنه، من الاستغراق فيه، لَصَافَحَتْهمُ الْمَلَائِكَةُ قيل: أي علانية، وإلا فكون الملائكة يصافحون أهل الذكر حاصل، وقال ابن حجر: أي عياناً في سائر الأحوال.

"عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ"، أي في حالتي فراغكم وشغلكم، وفي زمان أيامكم ولياليكم؛ لأنكم إذا كنتم في الحضور والغيبة على ما ذكرتم، كنتم على أكمل الأحوال دائماً، ومن هو كذلك مع الموانع البشرية، والقواطع النفسية، يرى الملائكة متبركين به، معظمين له في الأمكنة والأزمنة. قال الطيبي: المراد الدوام.

"وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً"، يعني لا يكون الرجل منافقاً بأن يكون في وقت على الحضور، وفي وقت على الفتور، ففي ساعة الحضور تؤدون حقوق ربكم، وفي ساعة الفتور تقضون حظوظ أنفسكم.

ويحتمل أن يكون قوله:" سَاعَة وَسَاعَة " للترخيص أو للتحفظ؛ لئلا تسأم النفس عن العبادة، وحاصله أن يا حنظلة هذه المداومة على ما ذكر مشقة، لا يطيقها كل أحد، فلم يكلف بها، وإنما الذي يطيقه الأكثرون أن يكون الإنسان على هذه الحالة ساعة، ولا عليه بأن يصرف نفسه للمعافسة المذكورة وغيرها ساعة أخرى، وأنت كذلك، فأنت على الصراط المستقيم، ولم يحصل منك نفاق قط، كما توهمته، فانته عن اعتقادك

ذلك، فإنه مما يدخله الشيطان على السالكين حتى يغيرهم عَمّا هُمْ فيه، ثم ما يزال يغيرهم كذلك إلى أن يتركوا العمل.[1]

ولما تزيد وتيرة الطاعة عن الحد المقبول فطرياً، فإنها تُعرِّضُ الذي يقوم بها لإرهاق وتعب، غير مطلوبين منه، وفي الحديث الصحيح "عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قُلْتُ: فُلَانَةُ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، فَذُكِرَ مِنْ صَلَاتِهَا، فَقَالَ: «مَهْ! عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا".[2]

لفظ "مَهْ" استفهام، والهاء للسكت، أي ما تقول؟! ويحتمل أنها اسم فعل بمعنى كف.[3] يبين محمد الأزدي الحميدي أن في قوله: "فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا" ثلاثة أقوال: **أحدها**: أن الله لا يمل أبداً، مللتم أو لم تملوا، فجرى هذا مجرى قول العرب: حتى يشيب الغراب، ويبيض الفأر.

والثاني: أنه لا يطرحكم حتى تتركوا العمل، وتزهدوا في الرغبة إليه، وسمى الفعلين مللاً وليس بملل على الحقيقة، على مذهب العرب في وضع الفعل موضع الفعل إذا وافق معناه.

والثالث: وهو الذي اختاره ابن الأنباري، أن يكون المعنى فإن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله، فسمى فعل الله مللاً، وليس بملل، وهو في التأويل على جهة الازدواج، وهو أن تكون إحدى اللفظتين موافقة للأخرى، وإن خالفت معناها، كما قال

1. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج8 ص26 - 27.
2. صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب منه.
3. الديباج على مسلم ج6 ص97.

تعالى: {... فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...}(البقرة:194)

معناه فجازاه على اعتدائه فسماه اعتداء، وهو عدل لِتَزْدَوِجَ اللفظة الثانية مع الأولى، ومنه قوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا...}(الشورى:40)،[1]

يذكر النووي قول العلماء إن الملل والسآمة بالمعنى المتعارف في حقنا محال في حق الله تعالى، فيجب تأويل الحديث، قال المحققون: معناه لا يعاملكم معاملة المال، فيقطع عنكم ثوابه وجزاءه وبسط فضله ورحمته، حتى تقطعوا عملكم.[2]

خير الأعمال أدومها:

في سياق التعامل مع الفتور العارض الذي يعتري العابدين في سلوكهم التعبدي، يركز الرسول، صلى الله عليه وسلم، على مسألة ديمومة العبادة، فهي واقعياً ومطلبياً مطلوبة أكثر مما لا يطاق من تجنب الفتور فيها، فالفتور أمر كائن لا محالة، وحدوثه يخرج عن نطاق سيطرة العابد الشخصية، وقدراته الممكنة، أما الانقطاع الكلي عن العبادة، فهو مرفوض جملة وتفصيلاً، وذلك في نطاق الفرائض المحددة، أما النوافل التي تحتمل مرونة في الأداء، فيمكن أن يعتري أداءها الفتور، عملاً بمفهوم قول الرسول، صلى الله عليه وسلم، في الحديث القدسي الذي يرويه عن رب العالمين: "... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ..."[3]

وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» وَقَالَ: «اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ»".[4]

1. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ص246 - 247.
2. شرح النووي على مسلم ج6 ص71.
3. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.
4. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل.

وعَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، قُلْتُ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الأَيَّامِ؟ قَالَتْ: «لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَطِيعُ".[1]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ"[2]

قوله: "لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ" بكسر الشين، وتشديد الراء، أي حرصاً على الشيء، ونشاطاً ورغبة في الخير أو الشر.

"وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ" بفتح الفاء، وسكون التاء، أي وهناً وضعفاً وسكوناً.[3]

التسديد والمقاربة:

دخول الجنة مرهون برحمة الله، وهو غير متعلق جذرياً بالأعمال؛ قلة وكثرة، حسب الثابت في الأحاديث النبوية الصحيحة، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا".[4]

وما دام الأمر كذلك، فالحرص ينبغي أن ينصب على نيل رحمة الله ورضوانه، دون

1. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل.
2. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
3. تحفة الأحوذي ج7 ص126
4. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل.

أن يكلف المرء نفسه بما لا تطيق، فالدين يسر، والنبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ".[1]

معنى "وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ":

يبين العيني أن"يُشَادَّ" من المشادة، وهي المغالبة، من الشدة، ويقال شاده يشاده مشادة، إذا غالبه وقاواه، والمعنى لا يتعمق أحدكم في الدين فيترك الرفق إلا غلب الدين عليه، وعجز ذلك المتعمق وانقطع عن عمله كله أو بعضه، وأصل لن يشاد يشادد، أدغمت الدال الأولى في الثانية.[2]

"فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا ":

قوله: "فَسَدِّدُوا" من التسديد، وهو التوفيق للصواب، وهو السداد والقصد من القول والعمل، ويقال معنى "سددوا" الزموا السداد؛ أي الصواب من غير تفريط ولا إفراط.

وقوله: "وَقَارِبُوا " أي لا تبلغوا النهاية، بل تقربوا منها، وقال التيمي قاربوا إما أن يكون معناه قاربوا في العبادة، ولا تباعدوا فيها، فإنكم إن باعدتم في ذلك لم تبلغوه، وإما أن يكون معناه ساعدوا، يقال قاربت فلاناً إذا ساعدته، أي ليساعد بعضكم بعضاً في الأمور، ويقال معناه إن لم تستطيعوا الأخذ بالكل فاعملوا ما يقرب منه.وقيل لا تغلوا واقصدوا السداد، وهو الصواب. أي وسط بين الجيد والرديء.

وقوله: "وَأَبْشِرُوا" بقطع الهمزة، من الإبشار، أي أبشروا بالثواب على العمل، وإن قل.[3]

1. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر.
2. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ج2 ص132.
3. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ج2 ص133.

"وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ":

"وَاسْتَعِينُوا ": من الاستعانة، وهو طلب العون.

و"الغدوة"، بضم الغين،وقيل بفتحها، هو سير أول النهار إلى الزوال، وقال الجوهري: الغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، و"الرَّوْحَةِ" بفتح الراء، اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل، و"الدُّلْجَةِ" بضم الدال، وإسكان اللام، ويجوز في اللغة فتحها، ويقال بفتح اللام أيضاً، وهي بالضم سير آخر الليل، وبالفتح سير الليل، وادلج بالتخفيف سير الليل كله، وبالتشديد سير آخر الليل.[1]

ويبين ابن حجر أن المراد بالأمر بالاستعانة هنا هو طلب العون عَلَى مُدَاوَمَة الْعِبَادَة، بِإِيقَاعِهَا فِي الْأَوْقَات الْمُنَشِّطَة.[2]

ومن فوائد هذا الحديث الشريف: الحض على الرفق في العمل، لقوله، عليه الصلاة والسلام:"اكلفوا من العمل ما تطيقون"

وقال الخطابي: هذا أمر بالاقتصاد، وترك الحمل على النفس؛ لأن الله تعالى إنما أوجب عليهم وظائف من الطاعات في وقت دون وقت تيسيراً ورحمة. ومنها التنبيه إلى أوقات النشاط؛ لأن الغدو والرواح والإدلاج أفضل أوقات المسافر وأوقات نشاطه، بل على حقيقة الدنيا،فهي دار نقلة، وطريق إلى الآخرة، فنبه أمته أن يغتنموا أوقات فرصتهم وفراغهم.[3]

---

1. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ج2 ص132 - 133.
2. فتح الباري ج1 ص62.
3. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ج2 ص132 - 138.

شاهد على ثمرة القصد في العبادة:

يشهد لثمار الاعتدال في العبادة، وترك المغالاة فيها روايات وأخبار واقعية وإخبارية، منها رواية عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: "أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «القَنِي بِهِ»، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةً، وَاقْرَإِ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الجُمُعَةِ»، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا» قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ؛ صَوْمَ دَاوُدَ؛ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً» فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ القُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ، لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا".(*)

شاهد على التأثر بفتور معين في عمل من أعمال البر والطاعة:

لما وقعت غزوة مؤتة، واستشهد أول قائد معين لها، وهو زيد بن حارثة، وتلاه القائد المعين الثالث، وهو جعفر بن أبي طالب، وتولى بعد استشهاده، القيادة القائد

* صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: في كم يقرأ القرآن

المعين الثالث، وهو عبد الله بن رواحة، الذي انتابه شيء من التردد في المضي، ثم مضى وخاطب نفسه قائلاً:

أَقسَمتُ يا نَفسُ لَتَنزِلَنَّه ,,, لَتَنزِلَنَّه أَو لا لَتُكرَهِنَّه

إِن أَجلَبَ الناسُ وَشَدّوا الرَنَّة ... ما لي أَراكِ تَكرَهينَ الجَنَّة

قَد طالَما قَد كُنتِ مُطمَئِنَّة ... هَل أَنتِ إِلّا نُطفَةٌ في شَنَّه

يا نَفسُ إِلّا تُقتَلي تَموتي ... هَذا حِمامُ المَوتِ قَد صَليتِ

إِن تَسلَمي اليَومَ فَلَن تَفوتيأَ ... وتُبتَلي فَطالَما عُوفِيتِ

وَما تَمَنَّيتِ فَقَد أُعطيتِ ... إِن تَفعَلي فِعلَهُما هُديتِ

فالعبرة ليست بالفتور العارض الذي يتعرض له العابد، وإنما في أداء الواجب في إطار الوسع والطاقة، دون خضوع للتراخي والكسل والاستسلام لضعف النفس، التي خلقها الله بخصائص معينة، فالمهم البالغ نيل رحمة الله، والعمل بجد ومثابرة وحرص على أن نموت مسلمين موحدين، راجين عفو الله ورضاه.



نظرة شرعية في استعطاف الجدين، للتنازل عن حصصهم الإرثية للأحفاد

أ.د جمال أحمد زيد الكيلاني / عميد كلية الشريعة / جامعة النجاح الوطنية
عضو مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين

الحمد لله الذي أمر بالعدل والإحسان، ونهى عن الظلم والبغي والعدوان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، من أُمرنا باتباع سنته، والاقتداء بهديه.

إن توزيع التركة بين الورثة على الوجه الشرعي ليس مجرد إجراء مالي، بل هو واجب ديني وأمانة شرعية، لا يجوز التهاون فيها أو تأخيرها. وقد شدد الإسلام على إعطاء كل ذي حق حقه، دون استحياء أو مجاملة، فقال تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...}(النساء: 11)، وفصل الحقوق تفصيلاً واضحًا، ليُرفع الظلم، ويُصان الحق.

وإن من الظواهر المؤسفة في مجتمعاتنا أن يُؤخذ حق بعض الورثة -من الضعفاء كالنساء والآباء والأجداد- على استحياء، أو يُسكت عنه بحجة العادات الموروثة أو الحرج، وهذا من منكرات الذنوب في شريعتنا. فالعدل في الميراث اختبار للإيمان قبل أن يكون مسألة قانونية أو عرفية.

فأخذ أموال الغير بغير حق ظلم وعدوان، يقول النبي ﷺ: "مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ".(*)

وفي هذا المقال نظرة شرعية تتعلق بمسألة من مسائل الميراث، فيها يتم التعدي

* صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار.

على حق الغير المالي في الميراث؛ بحجة كبر السن وعدم الحاجة، ويتركون بعد ذلك بلا نفقة أو معيل، يتكففون من أخذ أموالهم وهم الآباء والأجداد.

مفهوم الميراث:

في اللغة: هو ما يخلفه الإنسان بعد موته من مال أو حقوق أو ممتلكات.

واصطلاحاً: هو انتقال المال أو الحقوق المالية من الميت إلى ورثته الأحياء وفق ضوابط الشريعة الإسلامية.

مشروعية الميراث:

ثبتت مشروعية الميراث في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وجعلها الله تعالى حقًا ثابتًا للوارث، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} (النساء: 7)، وقد صحّ في الحديث عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا"(*).

وجوب إعطاء الحصص الإرثية لأصحابها:

يجب إعطاء مال الميراث وتوزيعه على من يستحقه، والتقصير والتهاون في ذلك يعد من الظلم المنهي عنه، وأكل أموال الناس بالباطل، وكبيرة من كبائر الذنوب، وفيه تَعَدٍّ على حدود الله، ومخالفة لأوامره سبحانه، وهو يقول: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (البقرة: 229). وعلى من حجب الميراث عن مستحقيه عقوبة دنيوية، ومساءلة قانونية، كالغرامة المالية أوالسجن في

* صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمه.

بعض الأنظمة القضائية، هذا فضلاً عن عقوبة أشد وأخطر في الآخرة، وهي حرمان دخول الجنة؛ لأن الظلم مصيره ذلك.

خطوات توزيع الميراث ومراحله:

بعد وفاة الشخص فإن كل أمواله تصير ميراثاً من بعده، سواء أكانت عقاراً أم منقولاً، وتوزع بحسب القانون الشرعي، وهذه العملية تمر في مراحل قانونية وإدارية وشرعية، وذلك كالآتي:

- إثبات الوفاة رسميًا: على أولياء الميت الذهاب إلى الدوائر الرسمية لاستخراج شهادة وفاة لبدء إجراءات الميراث.

- تحديد الورثة الشرعيين: يطلب أولياء الميت من المحكمة الشرعية المتخصصة تحديد الورثة الشرعيين بحجة حصر إرث.

- جرد ممتلكات الميت المادية، التي تشمل النقود، والعقارات، والسيارات، والذهب، والأسهم، والديون التي له، أو الممتلكات المعنوية؛ كالملكية الفكرية وغيرها.

- حصر الديون والوصايا: قبل توزيع مال الميراث على أصحابه يجب حصر الديون المتعلقة بذمة الميت، وإيفاؤها الى أصحابها، ثم تنفيذ الوصايا إن وجدت، على أن تكون بحدود الثلث، ولا تزيد على ذلك.

وأما بخصوص الديون: فهي تشمل ديون الأشخاص والبنوك وغيرها، أو أي التزامات مالية لأي جهة مهما كانت.

وتُسدد الديون من مال الميت قبل تقسيم التركة على الورثة. على أن تقدم الديون على الوصايا والميراث لقوله تعالى: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ}(النساء: 11) فإن

لم تكف التركة يُسدد ما يمكن تسديده، والباقي يُطالَب به الورثة إن اختاروا ذلك بحسب القدرة والبر والإحسان والصلة وليس ذلك واجبًا شرعيًا عليهم يلزمهم.

• وبخصوص إخراج الوصايا الشرعية فهي تنفيذ لما جاء في قوله تعالى: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ}(النساء: 11) والحد الأقصى للوصية الواجب تنفيذها الثلث، فلا يجوز أن تتجاوز ذلك من التركة إلا بموافقة الورثة، ولا يجوز أن يُوصي الميت لأحد من ورثته بشيء زائد عن نصيبه، إلا إذا وافق المستحقون، فالقاعدة الشرعية: "أنه لا وصية لوارث" والوصية يجب أن تكون موافقة لأحكام الشريعة، فلا تكون في شيء محرم ومخالف لأحكامها.

• تقسيم ما تبقى من التركة: ويُوزع الباقي على الورثة وفق الأنصبة الشرعية، حيث يُقسَّم المال بين الورثة حسب حصصهم الإرثية المدونة حسب حجة حصر الإرث الصادرة عن المحكمة الشرعية حسب ما بينه القرآن الكريم والسنة النبوية؛ كأصحاب الفروض من الأزواج والبنات والآباء والامهات والأجداد والجدات وأصحاب العصبات. ولا يُجتهَد في التوزيع، بل يُتبع نص الشرع بدقة كما ورد في شريعتنا.

التنازل عن حق الميراث لصالح الغير:

لصحة التنازل عن الحصص الإرثية يشترط للمتنازل أن يكون راشداً بالغاً عاقلاً، سواء أكان ذَكراً أم أنثى، وأن يكون التنازل صراحةً، وألا يكون قد تعرض الواهب لأي شكل من أشكال الضغط أو الإكراه، وذلك لأن الميراث يُقَسَّم كما ورد في الشرع بين أصحاب الفروض والعصبات، وأول ما يُعطى لأصحاب الفرائض، لضعف حالهم، فلا يجوز حجب الميراث عن صاحبه، فإن حصل، فهذا أكلٌ لأموال الناس بالباطل، سواء

كان ذلك بالحجب، أم الأخذ على سبيل الاستمالة والاستعطاف والاستحياء؛ كحصة الجدين. وقد ورد عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، في هذا الشأن قوله: "وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ شَيْءٌ، إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ"[1]. ونقل ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الكبرى الإجماع على أن من أخذ شيئاً من غيره على سبيل الحياء فإنه لا يملكه بذلك.

ويمكن إجمال الدوافع والأسباب لأخذ حق الغير من الميراث بما يأتي:

• الطمع، وحب المال: طلب المال من أقوى دوافع النفوس، وقد يدفع حب المال بعض الأشخاص إلى أكل حقوق غيرهم دون مراعاة لشرع أو ضمير. قال النبي ﷺ: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا..."[2]

• الجهل بأحكام الميراث: كثيرون يجهلون تقسيم الميراث الشرعي، أو يخلطون بين العادات والتعاليم الدينية، ما يؤدي إلى حرمان بعض الورثة دون علم.ومثاله: أن بعضهم يظن أن البنات لا يرثن إذا كن متزوجات، وهذا باطل شرعاً.

• ضعف الوازع الديني: قلة الخوف من الله، وضعف الإيمان، يدفع بعض الناس للتجرؤ على أخذ ما لا يحق لهم. قال تعالى:{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} (البقرة: 79)

• العادات والتقاليد الفاسدة: في بعض المجتمعات، تمنع العادات البالية النساء من الميراث أو تفضّل الذكور ظلمًا، فيُبنى ذلك على العيب أو العرف الجاهلي، لا على الشرع.

1. مسند أحمد، مسند البصريين، حديث عمرو بن يثربي، صححه الألباني.
2. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال .

• استغلال حياء بعض الورثة أو جهله: خاصة البنات أو الضعفاء من العائلة، حيث يتم استغلال صمتهم أو خجلهم من المطالبة بحقوقهم، وهو نوع من الاحتيال الخفي.

• عدم وجود رقابة شرعية أو قانونية: في بعض الحالات، لا يتم اللجوء إلى القضاء الشرعي، أو لا يُقسَّم الميراث رسميًا، فيستغل بعضهم هذا الغياب ليستولي على ما لا يحق له.

وقيام الأحفاد باستمالة أجدادهم واستعطافهم بحقهم في الميراث فيه مخاطر عدة، أهمها:

أولًا: النزاع بين الورثة باستئثار بعضهم دون بعض، وخلق حالة من الخلاف والشقاق والقطيعة بينهم.

ثانيًا: الحصول على المال بطريق الاستمالة والاستعطاف والاستحياء طريق غير مشروع، وهو من باب أكل أموال الناس بالباطل، وإن كان ظاهرياً يبدو على خلاف ذلك.

ثالثًا: حين يترك الأبوان، أو الجدان دون رعاية أو نفقة، ويؤول الأمر إلى استجداء أولادهم وأحفادهم؛ للحصول على ما يريدون من حاجات ومصاريف، الأمر الذي يدفعهم إلى عقوقهما بدلاً من برّهما، فتبدأ حياتهم بالعقوق بدلاً من البر، ويكون السبب، هو حصولهم على المال بالاستعطاف.

وأرى، من خلال الاطلاع على هذا الموضوع من جوانب عدة، أن يُترك نصيب الجدين لهما، ولا يتم استعطافهم واستمالتهم من الأحفاد، وترك الأمر إليهم، فإن بادروا،

وتنازلوا عن حقهم في الميراث، عن طيب خاطر، فلهم الأجر على ذلك، وإن امتنعوا، فهم أعلم بالتزاماتهم ومصاريفهم المعيشية، خاصةً بعد تقدمهم بالسن، الأمر الذي يترتب عليه مصاريف للرعاية والصحة والدواء.

وجملة القول: فإن الميراث في الإسلام نظام إلهي عادل يضمن حفظ الحقوق وتوزيع التركة بما يرضي الله، ويمنع النزاعات. وقد شددت الشريعة على وجوب إعطاء كل ذي حق حقه، وحرّمت بشدة الظلم أو التحايل، أو أخذ ما لا يُستحق، ولو كان ذلك على استحياء، أو تحت الضغط الاجتماعي.

فالتلاعب في الميراث، يُعد تعديًا على حدود الله، ويعرض صاحبه للعقاب في الدنيا والآخرة.

والله تعالى أعلى وأعلم.

بشائر النصر على ضفاف اليقين

روان الشيخ / باحثة شرعية / دار الإفتاء الفلسطينية

إشراقة اليقين:

تتزاحم أمواجُ الحياةِ، وتتوالى على الأمّة ساعات الضعف والابتلاء، فتضيق الصدور، وتتطلّع الأرواح إلى شعاعِ أملٍ يضيءُ العتمة، وفي أشدّ لحظات الخوف والحيرة، يشرق كلام الله، جلّ وعلا، بلسماً شافياً، ليفرش في قلوب المؤمنين سكينة لا تتزلزل، ويسكب فيها الطمأنينة؛ فيطلّ علينا القرآن الكريم بوعد رباني خالد يزلزل اليأس، ويوقظ الهمم، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور: 55)؛ إنّه نداء السماء للقلوب المكلومة، ويقين يسري في الأوردة؛ بأنّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

القسم الإلهي والبشارة بالتمكين:

هذه الآية العظيمة تحمل مفرداتها قَسماً إلهياً محققَ الوقوع؛ فقوله: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) أي الذين جمعوا بين صحة الإيمان، وحسن العمل الصالح،

وفي الوعد هنا معنى القسم؛ لأن وعد الله محقق الوقوع، ولذلك قال في جوابه (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ) أو أن القسم مقدر، وقوله (وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ) يقول: وليوطئن لهم ملتهم التي ارتضاها لهم، فأمرهم بها، وقوله (وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ) أي وليغيرن حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن.[1]

من مكابدة الخوف إلى سعة الأمن:

إذا ما ألقينا السمعَ لما ورد في أسباب نزول هذه الآية، ينقبض القلب لما كان عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه؛ فقد قال ابن كثير: "كان النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين، يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سرا، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال، حتى أُمروا بعد بالهجرة إلى المدينة، فقدموها، فأمرهم الله بالقتال، فكانوا بها خائفين يمسون في السلاح، ويصبحون في السلاح، فصبروا بذلك ما شاء الله، وأنزل الله هذه الآية، فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب، فأمنوا ووضعوا السلاح، ثم إن الله تعالى قبض نبيه، صلى الله عليه وسلم، فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان".[2]

فكفار مكة لما صَدُّوا المسلمين عن مكة عام الحديبية، قال المسلمون: لو فتح الله تعالى مكة ودخلناها آمنين! فنزل قوله تعالى: (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) أي: لينزلنهم في أرض مكة (كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يعني: من قبل أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، من بني إسرائيل وغيرهم[3]

1.تفسير النيسابوري: 5 /209، تفسير الطبري: 17 /345.
2. تفسير ابن كثير: 6 /72.
3. تفسير السمرقندي: 2 /521.

وقيل: إن أحد أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، شكا جهد مكافحة العدو، وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم، وأنهم لا يضعون أسلحتهم، فنزلت هذه الآية، عامة لأمة محمد، صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى: (فِي الْأَرْضِ) يريد في البلاد التي تجاورهم، والأصقاع التي قضى بامتدادهم إليها.[1]

الغاية الأسمى إظهار الدين:

من ينبوع هذا النصر تتكشف الغاية الأسمى، وتتجلى عظَمَة النص في تفاسير علمائنا الأجلاء؛ فقد أقسم سبحانه ليجعلن عباده المؤمنين خلفاء في الأرض أتباعاً لسنة إلهية جارية، كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وقوله (وَلَيُمَكِّنَنَّ) أي يثبت لأجلهم الدين المرتضى وهو دين الإسلام، إذ إن تمكين الدين هو إشادة قواعده ورسوخ بنيانه[2]، وهو إظهار لشرعه وعزة لأهله ليغير حالهم من الخوف إلى الأمن، لكي يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا؛ إذ إن معنى (يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) هو إظهار العبادة الخالصة، وإبطال الشرك تماماً[3]، وبذلك يصبح دين الإسلام راسخًا قويًا ثابت القدم، ويعظم أهله في نفوس أعدائهم الذين يواصلون الليل بالنهار في التدبير لإطفاء أنواره، ولكن الله يتم نوره ويعصم أولياءه[4]

1. تفسير ابن عطية: 4 /192.
2. تفسير النيسابوري: 5 /209.
3. تفسير السمرقندي: 2 /521.
4. تفسير المراغي: 18 /126.

قانون الجزاء وصدق الوعد:

حين نتأمل لطائف هذه الآية، ونربط بين أطرافها، نلمس كيف تتسلل البشارات إلى الوجدان لتصنع منهج حياة؛ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات مقطوع بإمامتهم، وصدق وعد الله فيهم، وهم على الدين المرضيّ من قبل الله، ولقد آمنوا بعد خوفهم، وقاموا بسياسة المسلمين والذّبّ عن حوزة الإسلام أحسن قيام[1]، ومن هذه الحقيقة ينبثق قانون خالد لعباد الله المؤمنين إلى يوم الدين؛ وفي ذلك يقول ابن تيمية: "فهذا الوعد مناسب لكل من اتصف بهذا الوصف، فلما اتصف به الأولون استخلفهم الله كما وعد، وقد اتصف بعدهم به قوم بحسب إيمانهم وعملهم الصالح، فمن كان أكمل إيمانًا وعملًا صالحًا كان استخلافه المذكور أتم، فإن كان فيه نقص وخلل كان في تمكينه خلل ونقص، وذلك أن هذا جزاء هذا العمل، فمن قام بذلك العمل استحق ذلك الجزاء"[2]، فالخطاب موجه لكل من جمع بين يقين القلب وعمل الجوارح[3]، والوعد يظل ممتداً إلى قيام الساعة؛ وما تسليط الكفار أو المنافقين في بعض الأحيان إلا بنسبة ما يقع من خلل في تحقق شروط الإيمان والعمل الصالح لدى المسلمين[4].

وقد وفى الله بعهده لرسوله، صلى الله عليه وسلم، فلم يمضِ للرفيق الأعلى حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وجزيرة العرب، وأخذ الجزية من هجر وأطراف الشام، وهاداه الملوك، ثم امتد هذا النور مع الخلفاء الراشدين، فافتتحوا المشارق والمغارب وكسروا شوكة عروش القياصرة والأكاسرة.[5]

1. لطائف الإشارات للقشيري: 2 /620.
2. مجموع الفتاوى: 18 /302.
3. تفسير الرازي: 24 /412.
4. تفسير السعدي: ص573.
5. تفسير المراغي: 18 /126.

السنن الكونية في النصر والتمكين:

إن هذا الاستخلاف والتمكين ليس حدثاً عابراً، بل هو قدر مقدور وسنة كونية في نصر الرسالات وتحقيق وعد الله الذي لا يخلف، فهو سبحانه القادر الذي لا يعجزه شيء، قال تعالى: {وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} (النساء: 122)، فلا أحد أصدق من الله قولاً، فوعده الحق القائم على فضله وجوده ورحمته، وقال سبحانه: {وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} (الأحقاف: 16)، وقال: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ} (الذاريات: 5)، ففي هذه الآيات قسم رباني مؤكد على صدق الوعد.

وهذه السنة جرت في الأمم السالفة، قال تعالى: {قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ} (الأعراف: 129)، تصريحاً ببشارة إهلاك فرعون واستخلاف بني إسرائيل(*)، وتجلت كذلك حين وعد الله أم موسى، عليه السلام، برده إليها: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } (القصص: 7)، فكان إنجاز الوعد حتماً مقضياً، فكيف استقر اليقين في قلب أم تسكب حنانها على وليدها، يوم جاءها الأمر الرباني أن تحميه بتقديمه للبحار، وتصونه من بطش البشر بإلقائه في ظلمات الموج؛ لتقوم الشواهد على أن الخوف حين يمتزج بالثقة بالله، يتحول الهلاك المظنون إلى حصن حصين، ومرسى آمن!

الخلود والحفظ إلى قيام الساعة:

على المنهج السامي ذاته، يمتد هذا العهد ليكون سنة ثابتة لأمة محمد، صلى

* تفسير النسفي: 1 /596.

الله عليه وسلم، لا تنقطع حتى تقوم الساعة؛ فعن ثَوْبَانَ قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا"[1]، وهذا برهان ساطع على أن هذا الدين باقٍ ومحفوظ، وأن أمة الإسلام لن تستأصل أبدًا بكيانها الشامل.[2]

معبر الصبر وميدان الثبات:

غير أن الطريق إلى هذا التمكين الشريف يمر عبر جسر الصبر والثبات، إذ لا يستوي عزم بلا ابتلاء؛ قال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} (الروم: 60)، إعلاماً لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولأمته من بعده بضرورة الاحتمال والصبر، فإن النصر والتمكين حق آتٍ لا ريب فيه [3]، وقال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} (غافر: 55)، تأكيداً على أن خلف الوعد محال في حق الله المنزه عن العجز والضرر[4]، وتكتمل العبرة

1. صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.
2. الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي: ص98.
3. تفسير الطبري: 20 /120.
4. تفسير الماتريدي: 9 /40.

بقوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} (غافر: 77)، ليظل أفق المسلم موصولاً بالآخرة وبعزة الحق، سواء شهد إنجاز الوعد في حياته أو أفضى إلى جوار ربه مطمئن القالب.

صدق العهد وحذر الشقاق:

حين يلتحم الصبر بشرط الإيمان، يتجلى صدق العهد في أروع صوره، كما كان يوم الخندق؛ قال تعالى: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا* مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} (الأحزاب: 22 - 24)، وفي المقابل، يضعنا القرآن أمام درس أُحدٍ البليغ ليحذرنا من أسباب تعثر النصر؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (آل عمران: 152)

حتمية الفجر وشمول النور:

تنساب البشارات ختاماً لتؤكد أن دين الإسلام هو الغالب والظاهر على الدين كله؛ فعن خباب، رضي الله عنه، أنه قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، مَا

دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ -زَادَ بَيَانٌ- وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ) [1].

إنه إعلان بحتمية انتصار هذا الدين، وشمول أمنه ورحمته[2].

وعن الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ...)[3]، وهو نص شامل يعلن وصول هذا النور إلى كل أرجاء المعمورة.

فيا أيها المسلم المرابط في زمن الغربة، ويا من تستثقل الخطا، وتستبطئ النصر: اطمئن ولا تحزن، واعلم أن الوعد المكتوب في اللوح المحفوظ سينفذ لا محالة، ولا تنظر إلى ضعف أمتك اليوم، بل انظر إلى قدرة مَن وعدها بالتمكين؛ فعزز إيمانك، وجدّد عملك الصالح، واثبت في ميدانك كما ثبت الأوّلون، فإن الفجر قادم، ونور الله سيبلغ آفاق الأرض كلها، وتأكد أنك إن لم تكن سبباً في هذا النصر، فلا أقلّ من أن تلقى الله وأنت ثابت على طريق الصادقين!

1. صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه من المشركين بمكة.
2. فتح الباري: 7 /167.
3. مسند أحمد، تتمة مسند الأنصار، حديث المقداد بن الأسود، صححه الألباني، مشكاة المصابيح، 1 /20.



قد تنجو بعملٍ نسيته

أ. مهدي اسليم / باحث شرعي - دائرة الإفتاء / محافظة طوباس

من أعظم المعاني الإيمانية التي يغفل عنها كثير من الناس أن الأعمال الصالحة لا تضيع عند الله تعالى، وأن العبد قد يفعل العمل ثم ينساه، بينما يبقى محفوظًا عند الله عز وجل حتى يأتي اليوم الذي يكون أحوج ما يكون إليه. فكم من طاعة خفية، أو صدقة منسية، أو دمعة في جوف الليل، أو مواقف إحسان لم يلتفت إليها صاحبها، كانت سببًا في نجاته من كربة، أو تفريج همٍّ، أو رفع بلاء، أو نيل رحمة الله يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (البقرة: 110)، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(التوبة: 120).

وهذه النصوص تؤسس لقاعدة عظيمة في حياة المؤمن، وهي أن العمل الصالح لا يفنى، بل يبقى مدخرًا لصاحبه عند الله، وإن نسيه هو، أو نسيه الناس.

العمل الصالح بين النسيان البشري والحفظ الإلهي:

من طبيعة الإنسان أنه ينسى؛ ينسى أيامًا عاشها، ومواقف مرّت به، بل قد ينسى كثيرًا من أعمال الخير التي فعلها في مراحل مختلفة من حياته. وربما يتذكر ذنوبه أكثر

مما يتذكر حسناته، ويظن أن ما مضى قد طوته الأيام، وانتهى أثره. لكن الحقيقة التي يقررها القرآن أن ذاكرة الإنسان المحدودة لا تُلغي شيئًا من الحساب الإلهي الدقيق؛ فما ينساه العبد لا ينساه رب العبد.

قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾(المجادلة: 6)، وقال سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾(يس: 12). فكم من كلمة خير خرجت منك ثم غابت عن ذاكرتك، وكم من موقف نصرة أو تفريج كربة أو تعليم نافع لم تعد تذكره، بينما هو محفوظ في سجل ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾(الكهف:49).

ومن رحمة الله بعباده أن الحسنات لا تُحفظ فقط، بل تُنمَّى وتُضاعف. قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(البقرة: 261). فقد يلقى العبد ربه فيرى من الأجور ما لم يكن يتوقعه؛ لأن أثر بعض الأعمال يمتد بعد انتهائها بسنوات طويلة. فقد يعلّم كلمة هدى، أو يغرس قيمة في ولد، أو يدلّ على خير، ثم تتوالى آثار ذلك بعد موته وهو لا يشعر، مصداقًا لقوله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ».(*)

ولهذا كان العقلاء لا ينشغلون كثيرًا بعدّ أعمالهم أو تتبع آثارها، بل ينشغلون بإحسانها وإخلاصها؛ لأن مهمة العبد العمل، أما حفظ العمل وتنميته ومجازاته فإلى الله تعالى. فليس المهم أن تتذكر كل خير فعلته، بل المهم أن يكون مكتوبًا عند الله مقبولًا لديه.

إن المؤمن يعيش مطمئنًا إلى عدل الله وفضله؛ فلا يحزن إن نُسي معروفه بين الناس، ولا يضطرب إن جُهلت مواقفه الطيبة؛ لأن هناك ديوانًا لا تضيع فيه الحقوق، ولا تُنسى فيه الطاعات، ولا يذهب فيه الإحسان سدى. وسيأتي يوم يرى فيه العبد تفاصيل أعماله ماثلة أمامه، فيدرك أن ما غاب عن ذاكرته سنين طويلة كان حاضرًا

* صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره.....

عند الله لا يغيب، وأن الكريم سبحانه لم ينس له سجدةً، ولا دمعةً، ولا إحسانًا، ولا خطوةً مشاها في مرضاته. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ (الإنسان: 22).

العمل الصالح لا يموت:

يظن بعض الناس أن العمل الصالح ينتهي بانتهاء فعله، وأن أثره ينقضي بانقضاء زمانه، لكن حقيقة الأمر أن الطاعة الصادقة لا تموت، بل قد تبدأ آثارها الحقيقية بعد سنوات طويلة من أدائها. فكم من كلمة حق قيلت ثم بقيت تهدي الناس بعد رحيل صاحبها، وكم من علم نُشر فانتفع به الخلق جيلاً بعد جيل، وكم من تربية صالحة أثمرت رجالًا ونساءً يحملون الخير في الأرض، فكان لصاحبها نصيب من أجورهم وهو في قبره.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ (يس: 12)، فلم يقتصر الحساب على العمل نفسه، بل شمل آثاره ونتائجه الممتدة بعده. ولذلك كان المؤمن ينظر إلى الطاعة بمنظار أبعد من لحظتها؛ لأنها قد تتحول إلى نهرٍ من الحسنات لا ينقطع.

وقد بيّن النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(*). فالموت الذي يقطع أعمال الناس لا يقطع آثار الطاعات التي زرعوها في حياتهم، بل تبقى تنمو في صحائفهم وهم تحت التراب.

ولهذا كان العلماء يعدّون نشر الخير من أعظم التجارات مع الله؛ لأن أثره يتجاوز عمر الإنسان المحدود. قال ابن القيم رحمه الله: "فإن العالِم إذا زرع علمَه عند غيره

* صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

ثم مات؛ جرى عليه أجرَه وبقي له ذكرَه ، وهو عمرٌ ثانٍ، وحياةٌ أُخرى، وذلك أحقُّ ما تنافسَ فيه المتنافسون، ورَغِبَ فيه الراغبون"[1]. لأن العلم يبقى حيًا بعد صاحبه، وتبقى حسناته تتجدد كلما انتفع به أحد.

كما قال الشاعر الْحُطَيْئَةُ:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَة * لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ[2]

فلا تنظر إلى العمل الصالح على أنه لحظة عابرة تنتهي بانتهائها، بل انظر إليه على أنه غرس قد يظل يؤتي ثماره ما دامت السماوات والأرض. فالأجساد تموت، والأعمار تنقضي، والذكريات تتلاشى، أما الأعمال التي أُريد بها وجه الله، فإنها تبقى حية عند الله، تجري بركاتها، وتتضاعف أجورها، وتشهد لصاحبها يوم يلقى ربه.

طاعة صغيرة... وأثر كبير:

كثيرٌ من الناس يظن أن الأعمال العظيمة وحدها هي التي تُغيّر المصائر، وتُثقل الموازين، بينما تكشف نصوص الوحي أن طاعةً صغيرة قد تبلغ عند الله منزلةً عظيمة إذا اقترنت بالإخلاص وصدق الإيمان. فالله سبحانه لا ينظر إلى حجم العمل في أعين الناس، وإنما ينظر إلى ما قام في القلب من صدق وإخبات وتعظيم له، جل وعلا. ولهذا قال النبي ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[3]، فالمعروف الصغير قد يكون عند الله كبيرًا.

ومن أعجب ما ورد في ذلك، أن رجلًا رأى كلبًا يلهث من العطش، فنزل إلى بئر، وملأ خفه ماءً وسقاه، فشكر الله له وغفر له[4]. عملٌ لا يستغرق دقائق معدودة، لكنه كان سببًا لمغفرة عظيمة.

1. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (1 /417).
2. كتاب الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا (289).
3. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.
4. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

وفي المقابل أخبر النبي ﷺ عن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض[1]. إنها رسالة واضحة بأن الأعمال قد تصغر في أعين أصحابها، لكنها لا تصغر عند الله إذا ترتب عليها إحسان أو إساءة.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(التوبة: 120). فكم من كلمة طيبة أصلحت قلبًا، وكم من صدقة يسيرة دفعت بلاءً، وكم من ركعتين في جوف الليل كانت سببًا في تفريج همٍّ أو رفع كربة، وكم من دعوة صادقة خرجت من قلب منكسر، ففتحت أبواب الفرج والرحمة.

وقد قال عبد الله بن المبارك، رحمه الله: "رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية"[2]. فالعبرة ليست بكثرة العمل فحسب، بل بما يحمله من إخلاص وصدق مع الله. وربما سبق عبدٌ غيره إلى أعلى الدرجات بعملٍ ظنه الناس هيّنًا، لكنه كان عند الله عظيمًا.

لذلك لا تزهد في طاعة، ولا تستقل معروفًا، ولا تؤجل خيرًا تقدر عليه اليوم. ابتسامة، أو صدقة، أو ذكر، أو دعاء، أو مساعدة محتاج، أو كفُّ أذى عن مسلم؛ فكل ذلك يُكتب في ديوان الحسنات، وقد يأتي يوم تكون أحوج ما تكون فيه إلى حسنة واحدة، فتجد أن الله قد ادخر لك أثر طاعةٍ صغيرةٍ نسيتها، ولم ينسها سبحانه.

خبيئة العمل الصالح ... أعظم الرصيد:

ليس كل ما يرفع العبد عند الله يراه الناس، وليس كل ما يراه الناس هو أعظم ما في ميزان العبد. فهناك أعمالٌ لا يعلم بها إلا الله، تجري في الخفاء بعيدًا عن الأضواء والثناء، لكنها قد تكون أثقل في الميزان من أعمال ظاهرة شهدها الآلاف. ولهذا كان

1. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم.
2. كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (8 /400).

السلف الصالح يحرصون على أن تكون لهم خبيئة بين أيدي الناس، وخبيئة أخرى بينهم وبين الله، لأنهم أدركوا أن الإخلاص ينمو في الظل أكثر مما ينمو في العلن.

وقد مدح الله عباده الذين يعملون الصالحات بعيدًا عن أعين الخلق، فقال سبحانه: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 271]. وجعل النبي ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»[1].

والسر في عظمة العمل الخفي، أنه أبعد عن الرياء، وأقرب إلى الصدق، وأدلّ على أن صاحبه لا يطلب إلا وجه الله. فالذي يقوم من فراشه في ظلمة الليل ليصلي ركعات لا يراه فيها أحد، والذي يمد يد العون لمحتاج دون أن ينتظر شكرًا، والذي يحمل همّ المسلمين في دعائه دون أن يعلم به أحد؛ هؤلاء يبنون لأنفسهم رصيدًا عند الله لا تزعزعه تقلبات الدنيا ولا تغيره نظرات الناس.

وقد كان السلف يتعاهدون أعمالهم الخفية أكثر مما يتعاهدون أعمالهم الظاهرة. قال أيوب السختياني رحمه الله: "ما صدق عبدٌ إلا سرَّه أن لا يشعر الناس بمكانه"[2] وكان بعضهم يبكي من خشية الله سنين طويلة، فلا تعلم زوجته ولا أقرب الناس إليه بحاله.

والعجيب أن بركة هذه الخبايا لا تقف عند صاحبها، بل تمتد إلى حياته كلها؛ فتمنحه قوة عند الفتن، وسكينة عند الاضطراب، وبركة في العمر والعمل، ومحبة في قلوب الخلق دون أن يسعى إليها. فالأعمال الخفية ليست مجرد حسنات تُكتب، بل

1. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين.
2. إحياء علوم الدين (3/ 2146).

هي علاقة خاصة بين العبد وربه، يودع فيها المؤمن صدقه وإخلاصه، ويترك أثرها عند الله ليومٍ يكون فيه أحوج ما يكون إلى رحمته.

فاجعل لك بابًا لا يشاركك فيه أحد، فربما كانت تلك الخبيئة هي العمل الذي يفتح لك باب فرجٍ لم تتوقعه، أو رحمةٍ كنت تنتظرها، أو نجاةٍ تحتاجها يوم تلقى ربك.

خاتمة:

إن المؤمن العاقل لا يستهين بطاعة، ولا يحتقر معروفًا، ولا يزهد في عمل صالح مهما بدا صغيرًا؛ لأنه لا يدري أي عمل يدخره الله له ليوم حاجته، أو يجعله سببًا في نجاته من كرب، أو رفع بلاء، أو مغفرة ذنب.

كما أن الحريص على الأعمال الصالحة المنجية لا يعمل الخير لأنه يرى أثره فورًا، بل لأنه يثق أن الله لا يضيع ما كان له. ولذلك يبقى يزرع الطاعات، ويترك خلفه آثارًا من البر والإحسان، دون أن يعلم أيّها سيكون مفتاح فرجه، أو سبب رحمته، أو نور طريقه يوم يلقى ربه.

فلا تنشغل بعدّ أعمالك، بل بإخلاصها، ولا تستعجل ثمارها، بل أحسن غرسها؛ فإن لله مواعيدَ في إظهار بركات الطاعة لا يعلمها إلا هو. ورب عملٍ غاب عن ذاكرتك، وبقي حاضرًا عند الله، حتى جاء اليوم الذي كانت نجاتك معلّقة به، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾(آل عمران: 30)

فاجعل بينك وبين الله رصيدًا من الطاعات، وخبيئةً من الأعمال الصالحة، وسرًّا من الإحسان لا يعلمه إلا الله، فلعل نجاتك يومًا تكون بعملٍ نسيته، لكنه محفوظ عند الله.

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. بيع ما يستخدم في الحلال والحرام

السؤال: أعمل في مجال التكنولوجيا، كتركيب كاميرات المراقبة، والطابعات، وبيع أجهزة حاسوب وجوالات لجهات يختلط استخدامها لها بين الحلال والحرام، والأمور التي بها شبهات، فما حكم تركيب الكاميرات، أو بيع أجهزة حاسوب إلى مطاعم ومقاهٍ مختلطة، يوجد فيها نرجيلة، وتُسمع فيها الأغاني المحرمة؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فالأصل في بيع الأجهزة المذكورة الجواز والإباحة؛ لأنها في الأصل أدوات صُنعت لغرض مباح ومفيد، كطباعة الفواتير وما إلى ذلك من الأعمال المفيدة، ومن حيث المبدأ؛ فإن استخدام مواد مباحة أصلًا، ووجود احتمال لاستخدامها في أمور محرمة لا يمنع بيعها، إلا إذا تيقن البائع أن المشتري سيستعمل المبيع في الحرام، فحينئذ لم يجز له أن يبيعه له، لعموم قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(المائدة: 2)، لكن لا تبنى الأحكام على الظن دون دليل أو تثبت.

وعليه؛ فلا حرج في بيع الأجهزة الإلكترونية، إلا إذا حصل يقين أنها ستستخدم في معصية، وأمور محرمة تخالف أحكام الشريعة الإسلامية، فعندها لا يجوز بيعها.

2. حكم بيع العقار بالتقسيط، ومدى إثم البائع بتعامل المشتري بالربا

السؤال: ما حكم بيع عقار - شقة أو أرض- لشخص بالتقسيط بدفعات شهرية، ثم يبيع المشتري العقار لطرف ثالث بسعر أعلى نقداً، أو بشيكات مؤجلة، ويستخدم تلك الشيكات في تجارته أو في مجال البناء، إلّا أنه يقوم بخصم جزء من قيمة هذه الشيكات من حسابه البنكي للحصول على مال نقدي - ما يُعرف بتكييش الشيكات-، فيكون قد دخل في معاملة ربوية في هذا الجزء؟ وهل يلحقني إثم في تعاملي معه؟

الجواب: إثم الربا عظيم ووباله صعب، فعن جابر، رضي الله عنه، قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ»(*)، ويحرم العون على الربا، والله تعالى يقول: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (المائدة: 2).

وحكم البيع يكون بناءً على وصفه، سواء أكان عن طريق البنك أم غيره، فإن ترتب عليه ربا، أو إعانة عليه، أو أي تعامل محرم آخر، فيحرم، مع التنويه إلى ضرورة التحرز عن الشبهات التي تتلبس ببعض المعاملات المالية التي تخضع لإجراءات مشوبة بالربا، والمؤمن مأمور بتجنب الشبهات، لقوله، صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى

* صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله.

حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ»[1]

وعليه؛ فيحرم عليك أن تكون طرفاً في معاملة ربوية؛ لأن في ذلك معاونة على الإثم، أما إن لم يكن لك ارتباط بالمعاملة الربوية، فلا يلحقك إثمها إن شاء الله.

3. حكم العمل في تزيين قاعات الأفراح

السؤال: ما حكم العمل في تزيين قاعات الأفراح، دون حضور الحفلات التي تقام فيها؛ لما فيها من تبرج واختلاط وموسيقى؟

الجواب: الأصل في الأعمال الإباحة، إلا ما ورد الشرع بتحريمه، ويحرم العمل في إنجاز الأعمال المحرمة، والله تعالى يقول: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(المائدة: 2).

فإن كان عملك لا صلة له بالمحرمات التي تقع في مكان العمل، فلا بأس، وإن كان الأولى البعد عن تلك الأماكن، لما يغلب عليها من المنكر، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ...»[2]

فيجوز العمل في تزيين قاعة الأفراح إذا لم تشتمل أموراً محرمة؛ مثل تقديم الخمور، والاختلاط، وكشف العورات، والغناء الفاحش، وغيرها من الأمور المحرمة، فإن شمل العمل على شيء من هذه المحاذير الشرعية، فيكون الانخراط فيه من

1. صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.
2. صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

التعاون على الإثم والعدوان.

وعليه، فإن خلا العمل المذكور من المحاذير الشرعية فيجوز، وإن اشتمل على المحرمات فينبغي تجنبه، ومن ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه.

4. حكم كشف العورات عند إجراء العمليات في المشافي

السؤال: عند إجراء أي عملية حتى لو كانت بسيطة، كعملية في إصبع القدم أو اليد يفرضون على المريض أن يتعرى بالكامل بحجة الضرورة، فما حكم الشرع في ذلك؟

الجواب: ذهب مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين في قراره رقم: 1 /116 بتاريخ 17 /4 /2014م إلى: "أن كل عملية جراحية تحتاج في الغالب إلى طاقم من الأطباء، ومتخصصي التخدير، وعددٍ من الممرضين؛ هذا وإن كثيراً من المراكز الطبية في بلدنا تراعي الضوابط الشرعية، بعدم كشف العورة إلا للضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، وإن بعضهم قد يتساهل في هذا الأمر، ما يدعو إلى بيان الحكم الشرعي، والإيعاز للمسؤولين في وزارة الصحة، وفي المشافي، والعيادات الطبية، لأخذ مزيد من الحيطة والحذر؛ تجنباً للوقوع في الإثم والمعصية، جراء التهاون في حفظ العورات، ويرى المجلس الآتي:

أولاً: إن غض البصر، وحفظ الفرج، فرض على المؤمنين والمؤمنات، سواء أكان المسلم مريضاً، أم طبيباً، أم ممرضاً، أم زائراً للمشفى، ذكراً كان أم أنثى، وذلك لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾ [النور:

30 - 31]، ولحديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ»[1]، وعَنْ مُعَاوِيَة بن حَيْدَةَ، رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ، قُلْتُ: وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا، قَالَ: فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ»[2]

ثانياً: إن نظر الطبيب والممرض ولمسهما للمريض تحكمه قواعد الضرورة، التي تدعو إلى حفظ النفس، وهي مستثناة من أصل المنع، بناءً على الضوابط الشرعية الآتية:

1. عورة الرجل بين السرة والركبة، وعورة المرأة بدنها جميعه عدا الوجه والكفين؛ وذلك أمام الرجال، أما أمام النساء المؤمنات فما بين السرة والركبة.

2. الأصل أن تتولى علاج النساء طبيبات، وتقوم على تعقيم أجسادهن ممرضات، ويقوم على علاج الرجال أطباء ذكور، ويقوم على التعقيم والتحضير للعملية ممرضون رجال إلا إذا تعذر ذلك.

3. تجنب الخلوة عند علاج مريض من جنس آخر، فيجب أن يكون معهما زوج أو محرم، أو امرأة أخرى، أو ممرضة.

---

1. صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب تحريم النظر إلى العورات.
2. سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في حفظ العورة، وحسنه الألباني.

4. الأصل ألا يحضر العملية إلا من تدعو الضرورة لحضوره، مع مراعاة غض البصر ما استطاعوا، وتجنب النظر إلا إلى موضع العملية، وبغير شهوة.

5. تجنب كشف أي جزء من العورة من الرجل والمرأة أثناء العملية إلا ما تدعو له الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، ولا تتعداها.

ثالثاً: ضرورة الفصل بين عمليات التخدير، والتعقيم، والجراحة، بحيث لا يحضر كل مرحلة إلا من يلزم لها من أفراد الطاقم.

رابعاً: يوصي مجلس الإفتاء الأعلى بتوسيع نطاق التوعية الخاصة بضرورة التزام الأطباء بقواعد الشرع الحنيف وأحكامه في ستر العورات، وعدم التساهل في أمر الله، عز وجل، ويوصي المسؤولين في وزارة الصحة بضرورة وضع لوائح داخلية في المشافي، والعيادات الطبية العامة والخاصة، تنظم هذه المسائل، وتعمل على تنظيم الزيارات في المشافي، وعدم دخول الرجال على أقسام النساء، وضرورة استئذان الطواقم الطبية قبل دخولهم إليها.

5. الصلاة تحت تأثير التخدير الطبي

السؤال: حُدِدَ لقريبتي عملية جراحية لإزالة ورم من الفك، وعمل زراعة للعظام، وتركيب أسنان، ومدة العملية 12 ساعة، ثم ستبقى في غرفة العناية من أربعة أيام إلى أسبوع تحت تأثير التخدير، ويتم إيقاظها في أوقات محددة، فكيف تتوضأ وتصلي؟ وهل يجوز لها الجمع؟

الجواب: الصلاة لا تسقط عن المريض، وإنما يرخص له في ترك ما لا يقدر عليه من أفعال الصلاة والطهارة، فإذا تعذر عليه القيام صلى قاعدًا، وإن تعذر عليه القعود

صلى على جنب، وإن عجز عن ذلك يستلقي ويومئ إيماءً، فعن عمران بن حصين، رضي الله عنه، قال: «كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الصَّلاَةِ، فَقَالَ: صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[1].

وفي حال كان المريض تحت تأثير التخدير أثناء العملية الجراحية، وبقي غير واعٍ بسببه لأيام عدة، فقد اختلف الفقهاء في حكم قضاء الصلاة في حقّ فاقد الوعي، فذهب الحنفية إلى أن عليه أن يقضيها إذا فقد وعيه يومًا وليلة أو أقل؛ فإن كان أكثر فلا قضاء عليه[2]، وذهب المالكية والشافعية إلى عدم وجوب قضاء ما فاته من صلاة نفيًا للحرج؛ ولأنها قد تكثر فيشق عليه القضاء[3]، وذهب الحنابلة إلى وجوب قضائها؛ لأنه في حكم النائم، لا يسقط عنه قضاء شيء من الواجبات التي يجب قضاؤها على النائم[4].

ونميل إلى ترجيح رأي المالكية والشافعية نفيًا للحرج والمشقة، وبالأخص كما في حال السائلة التي تفيق لفترات قصيرة، أما في حال إفاقتها، فالصلاة لا تسقط عنها إن كانت في وعيها وإدراكها.

فينبغي للمريضة الموصوفة حالتها في السؤال أن تؤدي الصلاة عند استيقاظها حسب ما تستطيعه من أفعالها وشروطها، ولا يجوز لها تركها بالكلية، فالله تعالى يقول: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} (الحجر: 99)، واليقين: الموت، فلا يقبل من إنسان

1. صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعدًا صلى على جَنْب.
2. بدائع الصنائع للكاساني: 1/ 108.
3. الفواكه الدواني للنفراوي: 1/ 235، الحاوي الكبير للماوردي: 2/ 38.
4. المغني لابن قدامة: 1/ 209.

بالغ عاقل -وإن كان مريضًا- أن يترك الصلاة لمرض أصابه، ويجوز لها الجمع بين الصلاتين عند الحاجة التي تستدعي ذلك، على ألا تتخذ ذلك عادة.

6. حكم العمل في مكان يوجد فيه خمر

السؤال: يعمل أخي في مغسلة تقوم بغسل الأطباق والأكواب والأواني العائدة لمطاعم ومقاهٍ ومنشآت مختلفة، وليس في مطعم أو مقهى أو مكان يقدم الخمر بشكل مباشر، ومن ضمن ما يرد إلى المغسلة أحيانًا أكواب استُعملت لشرب الخمر، إلا أن ذلك يشكل جزءًا يسيرًا من العمل، ولا يستطيع أخي عمليًا تجنب غسلها أو فصلها عن بقية الأواني، فما حكم هذا العمل؟ وهل يؤثر وجود هذه الأكواب في جواز العمل أو الراتب الذي يتقاضاه؟ كما أن والدي يربي المواشي، ومنذ أن بدأ أخي هذا العمل لاحظنا خسائر وتراجعًا ملحوظًا في نواتج المواشي، ما جعلنا نتساءل: هل يجوز شرعًا ربط هذه الخسائر بطبيعة عمل أخي أو الشك في وجود أثر في ذلك، أم أن مثل هذا الربط لا يجوز إلا بدليل؟

الجواب: الله حرم الخمر بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة: 90)، وتحريم الخمر يشمل شربها وبيعها وتقديمها، وقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ»(*).

* سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب العنب يعصر للخمر، وصححه الألباني.

والعمل في مغسلة يتم فيها غسل أكواب شرب فيها الخمر، أو التكسب منها، لا يخلو من الحرام أو شبهته، والمسلم مأمور بالابتعاد عن الحرام والشبهات، وينبغي له تجنب العمل بالآثام، والبعد عن الشبهات المتعلقة بذلك، لقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ...»(*)

وعليه؛ فالكسب من العمل الحرام يكون حراماً، وينبغي البحث عن عمل آخر يخلو من الحرام وشبهاته، فأبواب الرزق الحلال واسعة، والحمد لله، ومن ترك شيئاً يبتغي به رضا الله، عوضه الله خيراً منه، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: 2 - 3).

وبالنسبة لربط خسائر والدك في المواشي بهذا العمل، فهذا غير ثابت بيقين، والله تعالى أعلم.

* صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات



الأخلاق

فريضة شرعية وضرورة بشرية

د. محمد خليل جاد الله / الوكيل المساعد - دار الإفتاء الفلسطينية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد

تُعد الأخلاق من أهم المرتكزات التي قام عليها البناء الحضاري للإسلام، فهي ليست مجرد منظومة من القيم الاجتماعية التي يُستحسن التحلي بها، بل تمثل جزءًا أصيلًا من العقيدة والشريعة، وغايةً من غايات الرسالة المحمدية العظيمة. حيث جاء الإسلام ليبني الإنسان بناءً متكاملًا يجمع بين سلامة الاعتقاد، وصحة العبادة، واستقامة السلوك، فأصبحت الأخلاق انعكاسًا عمليًا للإيمان، ودليلًا على صدق الانتماء الحقيقي إلى الدين.

ويهدف هذا المقال إلى بيان أن الأخلاق في الإسلام تجمع بين بعدين متكاملين؛ فهي فريضة شرعية دلّت عليها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهي في الوقت ذاته ضرورة بشرية لا تستقيم حياة الأفراد والمجتمعات إلا بها. كما يسعى

هذا المقال إلى إبراز أثر الأخلاق في بناء الإنسان، وتحقيق الاستقرار الاجتماعي، وإرساء أسس الحضارة الإنسانية.

الأخلاق لغةً واصطلاحًا:

يطلق لفظ الخُلُق في اللغة على السجية والطبع والهيئة الراسخة التي تصدر عنها الأفعال من غير تكلف. وقد ذكر ابن منظور أن الخُلُق هو السجية والطبع، وهو ما يدل على أن الأخلاق ليست أفعالًا عارضة، وإنما صفات مستقرة في النفس تنعكس آثارها على سلوك الإنسان.

أما في الاصطلاح، فقد عرف الإمام أبو حامد الغزالي الخُلُق بأنه: "هيئة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سميت خلقًا حسنًا، وإن صدرت عنها الأفعال القبيحة سميت خلقًا سيئًا". ويكشف هذا التعريف عن أن الأخلاق تبدأ من الداخل، ثم تظهر آثارها في السلوك الخارجي، ولذلك اهتم الإسلام بإصلاح القلب قبل إصلاح الجوارح.

كما يرى ابن مسكويه أن الأخلاق ملكات نفسية يكتسبها الإنسان بالتربية والمجاهدة، حتى تصبح جزءًا من شخصيته، وهو ما يؤكد أن الأخلاق ليست مجرد استعداد فطري، وإنما يمكن تنميتها وتطويرها من خلال التربية الصالحة، والقدوة الحسنة، والممارسة المستمرة.

مكانة الأخلاق في الإسلام:

جعل الإسلام الأخلاق من أعظم مقاصده، وربط بينها وبين حقيقة الإيمان، فقال

تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس: 9 - 10)، فجعل تزكية النفس طريق الفلاح؛ لأن صلاح السلوك يبدأ بصلاح القلب.

وقد أثنى الله تعالى على نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(القلم: 4)، وهي شهادة ربانية تدل على أن كمال الأخلاق يمثل أعظم خصائص الشخصية النبوية، حتى قالت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[1]، أي أن حياته كانت تطبيقًا عمليًا لما جاء في كتاب الله تعالى.

وأكدت السنة النبوية هذه المكانة الرفيعة للأخلاق، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[2]، وقال أيضًا: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»[3]، ما يدل على أن حسن الخلق ليس فضيلة ثانوية، بل هو من كمال الإيمان، وسبب لنيل محبة النبي، صلى الله عليه وسلم، والقرب منه يوم القيامة.

خصائص الأخلاق الإسلامية:

تمتاز الأخلاق في الإسلام بأنها ربانية المصدر؛ تستمد مبادئها من القرآن الكريم والسنة النبوية، ما يمنحها الثبات والاستقرار. كما أنها شاملة، فلا تقتصر على علاقة الإنسان بغيره، بل تشمل علاقته بربه، وبنفسه، وبمجتمعه، وبالكون من حوله.

ومن خصائصها أيضًا أنها تجمع بين الثبات والمرونة؛ فأصولها وقيمها الكبرى ثابتة

1. مسند أحمد، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، وقال الأرنؤوط: حسن صحيح وهذا إسناد حسن.
2. سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وقال الألباني: حسن صحيح.
3. سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، وصححه الألباني.

لا تتغير، كالعدل والصدق والأمانة، في حين تتنوع وسائل تطبيقها بحسب الزمان والمكان، بما يحقق مقاصد الشريعة.

وتعتمد الأخلاق الإسلامية على الرقابة الذاتية، إذ يستشعر المسلم مراقبة الله تعالى له في أحواله جميعها، فيلتزم بالأخلاق عن قناعة وإيمان، لا خوفًا من القانون أو رقابة المجتمع له ولسلوكه، وهو ما يجعلها أكثر رسوخًا واستمرارًا.

ويمكننا القول إن الأخلاق في الإسلام ليست مجموعة من المبادئ النظرية فحسب، وإنما تمثل أساس بناء الشخصية المسلمة، وركيزة من ركائز الإصلاح الديني والاجتماعي، الأمر الذي يبرز أهميتها بوصفها فريضة شرعية وضرورة إنسانية في آنٍ واحد.

الأخلاق فريضة شرعية:

لم يقتصر الإسلام في نظرته إلى الأخلاق على اعتبارها فضائل يُثاب فاعلها، بل جعلها من صميم التكليف الشرعي، وربط بها كثيراً من الأحكام والواجبات التي تضمن استقامة السلوك، وتحقيق مصالح الناس، حتى أصبحت في التصور الإسلامي فريضة تلازم العقيدة والعبادة والمعاملة، وتشكل الإطار العام الذي يحكم علاقة الإنسان بربه، وبنفسه، وبالناس من حوله. ومن ثم فإن المسلم مأمور بالتحلي بمكارم الأخلاق؛ امتثالًا لأمر الله تعالى، كما أنه منهي عن التحلي بمساوئ الأخلاق بوصفها معاصي تنافي مقاصد الشريعة.

وقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة في مواضع كثيرة، فجاءت الأوامر الأخلاقية بصيغة الإلزام، لا بصيغة الاستحباب المجرد. ومن أبرز الآيات في ذلك قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)(النحل: 90). وقد عدّ العلماء هذه الآية من أجمع الآيات في القرآن الكريم؛ لأنها جمعت أصول الفضائل وأصول الرذائل، وأرست قواعد السلوك الإنساني القائم على العدل والإحسان، مع التحذير من كل ما يؤدي إلى الفساد والظلم.

كما ربط القرآن الكريم بين الأخلاق والتقوى، فقال تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا (البقرة: 83)، وقال سبحانه: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)(فصلت: 34)، وقال أيضًا: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)(المائدة: 8). وتكشف هذه الآيات أن الأخلاق الإسلامية لا تقتصر على معاملة من يحبهم الإنسان، وإنما تمتد حتى إلى من يختلف معهم أو يعاديهم، وهو ما يعكس شمولية الرسالة الإسلامية وعدالتها وعالميتها.

وجاءت السنة النبوية لتؤكد هذا المنهج، فبينت أن حسن الخلق من أعظم علامات كمال الإيمان، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[1]، ما يدلُّ بوضوح على أن الأخلاق ليست أمرًا منفصلًا عن العقيدة، بل هي ثمرة من ثمارها، وكلما ازداد إيمان الإنسان انعكس ذلك على سلوكه ومعاملاته.

كما قال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[2]، وهو حديث جمع أصول العلاقة بين الإنسان وربه،

1. سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وقال الألباني: حسن صحيح.
2. سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، وحسنه الألباني.

وبينه وبين نفسه، وبينه وبين الناس، فجعل التقوى أساسًا، والتوبة سبيلًا للإصلاح، وحسن الخلق منهجًا دائمًا في التعامل مع الآخرين.

ومن أعظم الأدلة على أن الأخلاق فريضة شرعية أن الإسلام لم يشرع العبادات لمجرد أداء الشعائر، وإنما جعلها وسائل لتربية الإنسان وتهذيب أخلاقه. فالصلاة ليست حركات وأقوالًا تؤدى في أوقات معلومة فحسب، وإنما قال الله تعالى في شأنها: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)(العنكبوت: 45)، أي أن أثرها الحقيقي يظهر في استقامة السلوك، وابتعاد المسلم عن المعاصي والآثام.

وكذلك الصيام، فإن مقصده الأعظم تحقيق التقوى، قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة: 183). ومن مقتضيات التقوى تهذيب النفس، وضبط الشهوات، وكف اللسان عن الكذب والغيبة، وكف الجوارح عن الأذى، لذلك قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»(*)، مبينًا أن الصيام الحقيقي لا يقتصر على الامتناع عن الطعام والشراب، وإنما يشمل تهذيب الأخلاق والسلوك.

أما الزكاة، فإنها لا تحقق مقاصدها بمجرد إخراج المال، بل تؤدي إلى تطهير النفس من الشح والبخل، وتنمية روح التكافل والإحسان بين أفراد المجتمع، كما أن الحج مدرسة عملية لتربية الحاج على الصبر، والانضباط، والمساواة، واحترام الآخرين، قال تعالى: (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)(البقرة: 197).

* صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم.

وقد أولى الإمام أبو حامد الغزالي هذه القضية اهتمامًا بالغًا، فبين في إحياء علوم الدين أن حقيقة العبادة تكمن في أثرها في إصلاح القلب والسلوك، وأن الأعمال التي لا تُثمر أخلاقًا حسنة تفقد جانبًا كبيرًا من مقاصدها الشرعية. ولذلك كان يؤكد على أن العبادات وسائل لتزكية النفس، وأن المقصود منها صناعة الإنسان الصالح قبل أداء الشعائر في صورتها الظاهرة.

ومن النصوص الجامعة في بيان منزلة الأخلاق قوله، صلى الله عليه وسلم: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ»[1]، وقوله أيضًا: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»[2]. ويدل هذا على أن الأخلاق ليست مجرد سلوك اجتماعي محمود، وإنما عبادة عظيمة يترتب عليها الثواب، وترفع منزلة المسلم في الدنيا والآخرة.

ومن خلال ما سبق يتبين أن الإسلام أقام علاقة تكاملية بين العقيدة، والعبادة، والأخلاق؛ فالعقيدة تغرس الإيمان في القلب، والعبادة تزكي النفس، والأخلاق تمثل الثمرة العملية لذلك كله. وإذا فقدت العبادات أثرها الأخلاقي، فقدت جانبًا كبيرًا من ثمارها ومقاصدها، ولذلك لم يكن غريبًا أن يجعل الإسلام حسن الخلق من أعظم أسباب الفوز برضا الله تعالى، وأن يعده من أكمل صور التدين وأصدقها.

الأخلاق ضرورة بشرية وأساس لبناء الحضارة:

إلى جانب أن الأخلاق في الإسلام فريضة شرعية، يلتزم بها المسلم امتثالًا لأمر

1. سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، وصححه الألباني.
2. سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، وصححه الألباني.

الله تعالى، فإنها في الوقت ذاته ضرورة إنسانية تفرضها طبيعة الحياة الاجتماعية. فالإنسان كائن مدني واجتماعي بطبعه، ولا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين، ومن ثم فإن استقرار حياته الفردية والجماعية يتوقف على وجود منظومة من القيم التي تضبط علاقاته الإنسانية، وتحفظ الحقوق، وتحقق العدل، وتنشر الثقة والتعاون في المجتمع. ولهذا لم تُعرف أمة من الأمم استقرارًا حقيقيًا أو نهضة حضارية مستدامة إلا وكان للأخلاق دور أساس في بنائها واستمرارها.

وقد أدرك الإسلام هذه الحقيقة منذ نزول الوحي، فربط بين صلاح الإنسان وصلاح المجتمع، وجعل الأخلاق أساسًا لإقامة العمران. فالعدل يحفظ الحقوق ويمنع الظلم، والأمانة تصون المصالح، والصدق يعزز الثقة، والرحمة توثق أواصر المجتمع، والإحسان يرسخ روح التعاون والتكافل. ولهذا جاءت النصوص الشرعية مؤكدة أن إصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح الإنسان نفسه، وأن تغيير الواقع لا يتحقق إلا إذا تغيرت النفوس، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد: 11).

ومن أبرز ما يميز المنهج الإسلامي أنه لم يحصر الأخلاق في دائرة العلاقات الشخصية، وإنما وسع نطاقها لتشمل مختلف جوانب الحياة. فالمسلم مأمور بالصدق في حديثه، والأمانة في عمله، والعدل في حكمه، والإتقان في مهنته، والوفاء في عهوده، والرحمة في تعامله مع الناس، بل مع الحيوان والبيئة وسائر المخلوقات. ومن ثم أصبحت الأخلاق في الإسلام إطارًا شاملًا يحكم سلوك الإنسان في مواقفه جميعها، ويجعل من القيم الأخلاقية أساسًا للتعامل داخل الأسرة، والمؤسسة،

والسوق، والدولة.

وتؤدي الأخلاق دورًا محوريًا في بناء الثقة بين أفراد المجتمع، إذ لا يمكن أن تزدهر التجارة، أو تستقر المعاملات، أو تنجح المؤسسات، في بيئة يغيب عنها الصدق والأمانة. ولذلك رفع الإسلام منزلة التاجر الصدوق، وعدَّه من أصحاب المراتب العالية، لما يمثله من نموذج يجمع بين النجاح الاقتصادي والاستقامة الأخلاقية. وحارب الغش والاحتكار والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل؛ لأنها ممارسات تهدم الثقة، وتضعف الاقتصاد، وتؤدي إلى اضطراب المجتمع.

ولا يقتصر أثر الأخلاق على الجانب الاجتماعي والاقتصادي، بل يمتد إلى الجانب النفسي أيضًا؛ إذ إنها تمنح الإنسان الطمأنينة والسكينة، وتجعله يعيش في انسجام مع نفسه ومع الآخرين. فالصدق يورث راحة الضمير، والعفو يطفئ نار الأحقاد، والرحمة تنشر المحبة، والإحسان يرسخ روح التعاون، بينما في المقابل يؤدي الكذب، والحسد، والأنانية، والغش، والخيانة إلى انتشار القلق والعداوة وفقدان الأمن النفسي والاجتماعي.

وقد تنبه علماء المسلمين إلى هذه الحقيقة منذ قرون، فبيّن ابن خلدون في مقدمته أن العمران البشري لا يقوم إلا على التعاون والعدل، وأن الظلم وفساد الأخلاق من أهم أسباب ضعف الدول وسقوط الحضارات. فالظلم يؤدي إلى انهيار الثقة بين الحاكم والمحكوم، ويضعف الإنتاج، ويقضي على روح المبادرة، حتى تنتهي الدولة إلى التراجع والانهيار. ومن هنا؛ فإن الأخلاق ليست شأنًا فرديًا، وإنما عنصر من عناصر القوة الحضارية التي تقوم عليها الأمم.

وفي العصر الحديث، مع ما يشهده العالم من تطور هائل في مجالات الاقتصاد

والتقنية والاتصال، أصبحت الحاجة إلى الأخلاق أشد من أي وقت مضى. فقد أفرز هذا التطور قضايا جديدة تتعلق بأخلاقيات البحث العلمي، وأخلاقيات الإعلام، وأخلاقيات الطب، وأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، وأخلاقيات الأعمال، وهو ما يؤكد أن التقدم العلمي وحده لا يكفي لتحقيق سعادة الإنسان، ما لم يقترن بمنظومة أخلاقية تضبط استخدامه، وتوجهه نحو خدمة الإنسان، وصيانة كرامته.

من هنا؛ فإن المجتمعات المعاصرة، على اختلاف ثقافاتها، أصبحت تتحدث عن النزاهة، والشفافية، والمسؤولية الاجتماعية، واحترام حقوق الإنسان، ومكافحة الفساد، وهي جميعها قيم يرسخها الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، ويجعلها جزءًا من العبادة التي يتقرب بها المسلم إلى ربه. وهذا ما يميز الأخلاق الإسلامية عن كثير من النظم الوضعية؛ فهي لا تستند إلى الأعراف المتغيرة أو المصالح المؤقتة، وإنما تستند إلى الوحي الإلهي، الذي يمنحها الثبات والقدرة على مواكبة مختلف الأزمنة.

وعليه، فإن الأخلاق ليست شأناً ثانوياً ولا شعارات تردد في المناسبات، وإنما ضرورة وجودية لاستمرار المجتمعات، وأساس لكل مشروع إصلاحي أو حضاري. فالأمم لا تنهض بالعلم وحده، ولا بالاقتصاد وحده، ولا بالقوة العسكرية وحدها، وإنما تنهض حين يقترن ذلك كله بمنظومة أخلاقية راسخة، تجعل الإنسان محور التنمية وغايتها، وتحفظ للمجتمع توازنه واستقراره.

وبذلك يتضح أن الأخلاق في الإسلام تؤدي وظيفة مزدوجة؛ فهي تحقق للإنسان رضا الله تعالى من جهة، وتسهم في بناء الحضارة الإنسانية واستمرارها من جهة

أخرى، وهو ما يبرر وصفها بأنها فريضة شرعية، وضرورة بشرية في آن واحد.

الخاتمة:

يتضح مما سبق أن الأخلاق في الإسلام ليست منظومة من القيم المثالية التي يُستحسن التحلي بها فحسب، وإنما تمثل ركيزة أساسية في البناء العقدي والتشريعي والحضاري للأمة. فقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية مؤكدة على أن حسن الخلق من كمال الإيمان، وأن العبادات لا تحقق مقاصدها الحقيقية إلا إذا أثمرت سلوكًا مستقيمًا يعكس أثرها في حياة المسلم وتعامله.

والأخلاق ليست مطلبًا دينيًا فحسب، بل هي ضرورة إنسانية تفرضها طبيعة الحياة الاجتماعية، إذ تقوم عليها الثقة بين الأفراد، وتستقيم بها المعاملات، وتتحقق بها العدالة، ويترسخ من خلالها الأمن والاستقرار. وقد أثبت التاريخ أن الحضارات لا تنهار بسبب ضعف إمكاناتها المادية فحسب، وإنما يبدأ ضعفها عندما تتراجع منظومتها الأخلاقية، ويحل الظلم والفساد محل العدل والأمانة والإحسان.

من هنا؛ فإن الإسلام لم يربط الأخلاق بمجرد الأعراف الاجتماعية أو المصالح المتغيرة، وإنما جعلها جزءًا من العبادة، ومظهرًا من مظاهر التقوى، ووسيلة لتحقيق مقاصد الشريعة في حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض. وهذا ما منح المنظومة الأخلاقية الإسلامية الثبات والشمول، وجعلها صالحة لتوجيه سلوك الإنسان في مختلف الأزمنة والبيئات.

وفي ظل ما يشهده العالم المعاصر من تحديات فكرية واقتصادية وتقنية، تبرز الحاجة إلى استعادة مركزية الأخلاق في مختلف مجالات الحياة، وربطها بالتعليم والإعلام والإدارة والاقتصاد؛ لأن بناء الإنسان أخلاقيًا هو الأساس الذي تقوم عليه

نهضة المجتمعات واستقرارها، وهو السبيل إلى تحقيق التنمية الشاملة التي تحفظ كرامة الإنسان وتسهم في بناء حضارة متوازنة.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله. المسند. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة، بيروت.
3. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. دار طيبة، الرياض.
4. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. المقدمة. دار الفكر، بيروت.
5. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. دار صادر، بيروت.
6. ابن مسكويه، أحمد بن محمد. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. دار صادر، بيروت.
7. الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي. تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي، بيروت.
8. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. إحياء علوم الدين. دار المعرفة، بيروت.
9. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. دار الكتب المصرية، القاهرة.
10. العامري، غصنه حمد متعب. "القيم الأخلاقية في الإسلام وفي الفكر الغربي: دراسة مقارنة". مجلة الرسالة للعلوم الإسلامية والإنسانية، المجلد (5)، العدد (2)، 2021.
11. الغزالي، محمد. خلق المسلم. دار الشروق، القاهرة.

لا تَصحبنّ خمسة ...



أ. كمال بواطنة

جاء في كتاب (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) لأبي نعيم الأصفهانيّ: "حدّث أبو جعفر محمد بن عليّ الباقر، رحمه الله: أوصاني أبي (عليّ بن الحسين، الملقّب بزين العابدين)، فقال: لا تصحبنّ خمسة، ولا تُحادثهم، ولا تُرافقهم في طريق. قال: قلت: جُعلت فداك يا أبت، من هؤلاء الخمسة؟ قال: لا تصحبنّ فاسقاً؛ فإنّه بائعك بأكلة فما دونها. قلت: يا أبت، وما دونها؟ قال: يطمع فيها، ثمّ لا ينالها. قال: قلت: يا أبت، ومن الثاني؟ قال: لا تصحبنّ البخيل؛ فإنّه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه.قال: قلت: يا أبت، ومن الثالث؟ قال: لا تصحبنّ كذّاباً؛ فإنّه بمنزلة السَّراب، يبعد عنك القريب، ويقرّب منك البعيد. قال: قلت: يا أبت، ومن الرابع؟ قال: قال: لا تصحبنّ أحمق؛ فإنّه يريد أن ينفعك، فيضرَّك. قال: قلت: يا أبت، ومن الخامس؟ قال: لا تصحبنّ قاطع رحم؛ فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله تعالى، في ثلاثة مواضع"(انظر، ص:184).

هذه الوصية تستحقّ أن تكتب بماء الذهب؛ ذلك أنّها خرجت من فم والد محبّ، وتلقَّفها ابن بارّ بشغف، وتضمّنت خمسة محاذير من خمسة أصناف من البشر، ينبغي الابتعاد عنهم عند اختيار الصديق، ولا بأس أن نطوّف حولها، وما من ريب

أنّ الصداقة لها أهمّيتها، بل إنّها من ضرورات الحياة؛ فالمرء لا يستطيع أن يعيش مُنفرداً، ولا بدّ أن يكون له أصدقاء، يأنس بهم، ويأنسون به، ويعينهم ويعينونه، وينصح لهم وينصحون له، ويبادلهم الودّ ويبادلونه...، ولكنّ ليس كلّ الناس يصلح أن يكون صديقاً، فبعض الناس صحبتهم تُردي، بل تُعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ، ومن الخير لمن يبغي السلامة أن يبتعد عنهم.

الصداقة قضية قرآنية:

ليس أدلّ على اهتمام القرآن الكريم بالصديق أن جعله مُدرجاً في سياق القرابات. قال سبحانه: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ...} (النور:61)، والغاوون الذين يدخلون جهنم يتحسّرون أنّه ليس لهم صديق {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ* وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} (الشعراء:100 - 101)، وهنا لفتة، فقد ذكر (شافعين) بصيغة الجمع، وذكر (صديق) بصيغة الإفراد؛ ذلك أنّك قد تجد شافعين في الحياة، ولكنّك قل أن تجد صديقاً واحداً حميماً.

غير أنّ القرآن حذّر من صديق السوء؛ لما له من عواقب تنال من يصاحبه في الدنيا والآخرة {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} (الفرقان:27 - 29).

وقد نصح القرآن الكريم بملازمة ومصداقة أهل التقى، وألا يُلتفت إلى غيرهم من أهل الغواية {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} (الكهف:28)، فصحبة أهل التقى تذكّرك بالله، وبأداء العبادات، وبحسن الخلق، وتأمرك بالمعروف، وتنهاك عن المنكر...، ولكنّ صحبة أهل الغواية تقودك إلى النار والعصيان، وتجلب لك غضب الديّان، وكراهية الناس.

الصداقة في الهدي النبويّ:

ما أعظم هدي النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وهو يحذّر: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(*)، فالمرء على طريقة خليله، وكلمة (دِين) خطيرة في هذا السياق، فالخليل إن كان من أهل الدِين والصلاح قاد خليله إلى دِينه، وإن كان على نهج فاسد فقد يصرف خليله عن دينه.

وما ألطفه من تصوير حين شبّه النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، الصديق الصالح بحامل المسك، والصديق السوء بنافخ الكير!، وشتان ما بين من يجلس إلى جانب حامل مسك ومن يجلس عند نافخ كير!

أبو بكر الصديق أنموذج للصديق الحميم:

حين تُذكر الصحبة والصداقة يقفز إلى الذهن الصِّدِّيق، رضي الله عنه، الذي كان نعم الصاحب والصديق لرسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وقد شرَّفه ربّنا سبحانه،

* سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، وحسنه الألباني.

بأن وصفه أنّه صاحب النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، ومن لا يذكر تلك العبارة الصادقة من الصِّدّيق، رضي الله عنه، لصديقه، صلّى الله عليه وسلّم: «اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ»[1]، ومن لا يذكر حرصه على سلامة النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، في الهجرة وقد كان يمشي أمامه إذا ذكر الرَّصد، ويمشي خلفه إذا ذكر الطلب...؟

عودة إلى وصية زين العابدين:

من الخير أن نتوقّف مع الأصناف الخمسة الذين حذّر زين العابدين، رحمه الله، من صحبتهم، وهم:

الفاسق:

هو الخارج عن طريق الحقّ والصواب، وقد ورد في بعض آي القرآن الكريم أنّه الكافر، دلّ على ذلك قوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} السجدة:18)، ولمّا علّل عدم صحبته قال: (فَإِنَّهُ بَايِعُكَ بِأَكْلَةٍ فَمَا دُونَهَا)[2]، فهو صديق زائف يَبيعك عند أوّل محطّة، فقد يبيعك لأجل شيء تافه، لأجل أكلة، أو وَعْدٍ بأكلة، أو نحو ذلك، وقد لا ينالها.

ويكفيك من الفاسق ما يُصيبك من العار والشبهة إن جالسته، أو دخلت عليه، أو رآه النّاس داخلاً عليك.

البخيل:

لا يُشدّ به ظهر؛ فهو يتمسّك بماله أكثر من تمسّكه بصديقه، ويخذلك وأنت في

1. صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب المهاجرين وفضلهم.
2. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 3 /184.

أمسّ الحاجة إليه، وعند اختبار المال يرسب، فإذا احتجته لم يحقّق لك غاية، ومثل هذا النوع تتشوّف نفسه للأخذ، وعند الإعطاء ينسحب.

وقد حذَّر القرآن الكريم ممّن يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، وعدّ البخل من أظهر صفات المنافقين، ونبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، بيّن في هديه أنّ البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنّة، وخير للمرء ألا يصاحب بخيلاً، وألا يرافقه؛ فهو عبء على من يصاحبه.

الكذّاب:

المؤمن لا يكذب، ولا ينبغي أن يكون إلّا مع الصادقين: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (التوبة:119)، والكذّاب إنسان مُخادع، لا يبالي بالكذب، ويتلبّس بصفة من صفات المنافقين، وهو سراب خادع، يقرّب البعيد، ويبعد القريب، ولا تقف منه على حقيقة، ويسبّب لك الحيرة، فلا تدري: أهو صادق أم كاذب؟ ولا تستطيع أن تبني على كلامه، وهو يقلل من قدرك حين يكتشف الناس أن ما تقوله -مُستنداً إلى أخباره- يخالف الواقع، ومن مخاطر الكذّاب أنّه قد ينقل حديث هؤلاء إلى هؤلاء، ولا ينقله كما هو، بل يُحرّفه مما يوغر الصدور، ويشعل فيها الشحناء.

بخلاف الصديق المشتقّ من الصّدق، فهو لا يكذب صديقه، وقد قالوا: (صديقك مَنْ صَدَقَكَ لا من صَدَّقَكَ)، فالصديق يكلمك بصدق، ولا يجاملك في الكذب، فتتوهّم أنك على صواب، وأنت لست كذلك.وكانوا يقولون: إذا قال صديقك لك: هيّا، فلا تقل له: إلى أين؟ فإنّ ذلك مدعاة إلى التشكيك في صدقه وفي صداقته.

الأحمق:

الأحمق قليل عقله، فاسد رأيه، لا يضع الأمور في مواضعها الصحيحة، وقد لا يقصد الإساءة، ولكنّه لخفّة عقله يريد أن ينفعك فيضرّك، وأنت إذا ما صاحبته فستظلّ مُتوتراً قلقاً، لا تطمئنّ إليه، لا في أقوال، ولا في تصرّفات، والعرب قالوا في حكمتهم: "معاداة عاقل خير من مودّة أحمق"، فالعدوّ العاقل يتصرّف بعقل، وأنت تتعامل معه وفق ذلك، وقد أجاد صالح بن عبد القدّوس لما أنشد ناصحاً امرءاً:

ولأن يُعادي عاقلاً خير له من أن يكون له صديق أحمق
فاربأ بنفسك أن تُصاحب أحمقاً إنّ الصديق على الصديق مصدِّق

وواقع حال الأحمق أنّه لا يؤمل له شفاء من حماقته، والشاعر الحكيم أبو الطيّب المتنبي أصاب لما أنشد:

لكلّ داء دواء يستطبّ به إلا الحماقة أعيت من يداويها

قاطع الرَّحم:

ليس فيه خير لمن تربطه بهم رابطة دم، ولمن أحسنوا إليه، فكيف سيكون فيه خير لصديق؟! إنّ قاطع الرحم لا يصلح أن يكون صديقاً، فهو أنسان كنود، جحود، ناكر للجميل، لا يبصر إلا نفسه، وقد لعنه القرآن في ثلاثة مواضع: في سور البقرة، والرعد، ومحمّد، التي قال الله فيها: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾(محمّد:22 - 23).

وإذا كانت الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم، فهل يحسن بعاقل أن يصاحب قاطع رحم، فيحرم نفسه من رحمة الله؟

كلمة أخيرة:

مما يؤسف له أنّ الصحبة الخالصة التي تترفّع عن الغايات المادية الدنية أصبحت نادرة، فأين من كان ينادي صديقه: يا أنا. وإذا مرض صديقه مرض، وإذا شفي صديقه شفي؟ وقد قال الإمام الشافعي:

مرض الحبيبُ فعُدته فمرضتُ من حذري عليه

وأتى الحبيبُ يعودني فبرئتُ من نظري إليه

أين الصديق الصدوق الذي يُرتجى في الملمّات، وأصبح لا يُرى في الملا؟ أين نحن من هدي النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ»[1] أين نحن من زمان كان الوالدان يحرصان فيه على معرفة حقيقة أصدقاء أولادهما؟ أين نحن من زمان كنّا فيه نتمثّل قول الحبيب، صلّى الله عليه وسلّم: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»[2]. أين الصديق الذي لا يلقاك تكلّفاً، ويلتفت إلى قلبك لا إلى جيبك؟

هدانا الله جميعاً إلى ما يحبّ، ويرضى

1. سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، وصححه الألباني.
2. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، وحسنه الألباني.

حقوق الطريق وأثرها في المجتمع



أ. يوسف عدوي / باحث وكاتب ومحاضر جامعي

مقدمة:

الحمد لله، نحمده، ونستغفره، ونتوب إليه، والصلاة والسلام على حبيبنا وقدوتنا وشفيعنا سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن استنّ بسنته إلى يوم الدين، وبعد؛

يتناول هذا المقال جانباً مهماً من جوانب الأخلاق الإسلامية، وهو إماطة الأذى عن الطرقات، والحفاظ على حقوق الطرقات ضمن الضوابط الإسلامية.

الطريق لغة واصطلاحاً:

الطريق لغة: هي السبيل، وتذكّر وتؤنّث. نقول: الطريق الأعظم، والطريق العظمى، وقيل: الطريق السابلة، والجمع أطرقة، وأطرقاء، وطرق، وطرقات جمع الجمع.[1] والطريق: الممر الواسع الممتد، أوسع من الشارع.[2]

الطريق في الاصطلاح: هي السبيل المطروق الذي يسير فيه الناس، ويطرقونه بنعالهم، والطريق العام: ما مهّد من السبل، وكان نافذاً يسلكه الناس جميعاً.[3]

والطريق العام عند الفقهاء: هو المسالك والشوارع والدروب المخصصة لاستعمال

1. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص220.
2. المعجم الوسيط، ج2، ص556.
3. محمد رواس قلعة جي، وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص286.

عامة الناس ومرورهم بحرية، وهو من الحقوق العامة أو المشتركة.[1]

أما الطريق من الناحية المعنوية: فهي المنهج أو السبيل الذي يسلكه الإنسان لتحقيق غاية، أو الوصول إلى هدف، سواء أكان ذلك في الفكر أم السلوك أم العلم أم الدين أم العمل. قال تعالى:{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ}(الأنعام:153) فالطريق الحسيّ هو الذي يسلكه الناس، والطريق المعنوي هو المنهج الذي يسير عليه المرء في حياته.

العناية بالطرق والشوارع:

يقوم المجتمع الإسلامي في أساسه على النظافة بتوجيهات النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد نهى المسلمين أن يتشبهوا باليهود، الذين كانوا يحتفظون بالقمامة في بيوتهم، وقد حوت السنة النبوية المطهرة كثيراً من التوجيهات التي ترغّب الناس في نظافة بيوتهم، وطرقاتهم، وتحذرهم من إلقاء الأذى والقاذورات في طرقات الناس، وبهذا حافظ الإسلام بهديه العلمي على بقاء بيئة المجتمع الإسلامي نظيفة خالية من الأمراض، وثبت علمياً أن مجموعة الأمراض تزيد وتنتشر في الأماكن سيئة النظافة والتهوية.

إن أي شيء يؤذي الناس في طرقاتهم يستحق لعنة الله، فالذي يلقي القمامة في طريق الناس يؤذيهم، والذي يضيّق الطريق على الماريّن، أو يصدر أصواتاً مزعجة تزعج الناس يؤذيهم، ورسول الله،صلى الله عليه وسلم، عندما سئل عن حق الطريق: "غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ"[2] ونوع

1. ابن رشد، البيان والتحصيل، ج9، ص407.
2. صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات.

الأذى يشمل وضع الحجارة، أو الشوك، أو القاذورات، أو التضييق على المارين في طرق الناس، فالقاعدة أن يحب المؤمن لإخوانه ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه، فالقاعدة في التعامل مع الناس عادلة، سهلة التطبيق.

حتى إن الرسول، صلى الله عليه وسلم، رسم لأمته كيفية التعامل في أثناء الزحام، وكيفية السير في حالة الكثرة، إن رأى فسحة في الطريق أسرع، وإن رأى ضيقاً وزحاماً تمهل في السير، وكان يشير بيده السكينة السكينة، يمنعهم من أن يؤذي بعضهم بعضاً، ويهلك بعضهم بعضاً، يقول الشيخ الشعراويّ: "الطريق الذي نسير فيه يعد سمة الحضارة في أي أمة من الأمم"[*] ومن حقنا أن نسأل: هل المسلمون هذه الأيام ابتعدوا عن الحضارة كثيراً؛ كون اهتمامهم بالطرقات، والنظافة تكاد تكون معدومة، وقد قال المؤرخ وعالم الاجتماع العراقي علي الوردي: "إن الأخلاق ما هي إلا نتيجة من نتائج الظروف الاجتماعية، فالغربيون لم تتحسن أخلاقهم بمجرد أنهم أرادوا ذلك، لقد تحسنت ظروفهم الحضارية والاقتصادية فتحسنت أخلاقهم تبعاً لذلك".

إماطة الأذى عن الطريق:

إماطة الأذى عن الطرقات من الأخلاق الحميدة التي حث عليها الإسلام، فخلق الإنسان في التعامل مع الناس يأتي تبعاً لِخُلقِهِ في تعامله مع الله، فإن المتأدب مع ربه لا يسعه إلا التأدب مع خلقه، وذلك باتباع شرعه، وما أوجبه على عباده في معاملة بعضهم بعضاً، ولعل من المهم أن نتبين أن الأخلاق الحميدة الواجبة في معاملة الإنسان لأخيه الإنسان إنما توجبها عليه ثلاثة أمور، هي: 1 - حق الله وشرعه . 2 - حق أخيه الإنسان عليه . 3 - مصلحة الإنسان ذاته في الدنيا وفي الآخرة، وما تقضي به من

* مجلة الأزهر، العناية بالطرقات، أ.د. نادي عبد الله محمد، آب، 2017م، ص2186.

الإحسان إلى الناس، والبعد عن إيذائهم.[1]

وإماطة الأذى عن الطريق تقوم على إزالة كل ما يؤذي المارة، أو يعوق حركتهم كالحجارة، والأشواك، والنفايات، والأخشاب، وغيرها، وحثت على ذلك الشريعة الإسلامية، وعدتها دليلاً على حسن الإيمان والخلق، لما له من أجر عظيم، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ".[2]

فالأصل أن يضع الناس النفايات داخل الحاوية، أو المكان المخصص لها، ولكننا للأسف نجد أن كثيراً منّا يلقونها إلى جانب الحاوية على الرغم من الوصول إليها، أو يلقونها في الطريق، وكثير منا كذلك يلقون القاذورات، وعلب الكولا الفارغة من نوافذ السيارات على الشارع العام، وأحياناً تصيب المارة وتؤذيهم، وبعض الأطفال يطبقون علب العصائر والمشروبات الأخرى الفارغة ويجعلونها ملساء، فيتزحلق الناس بها، وقد تكسر أيديهم، أو أرجلهم، أو يصابون بإصابات بالغة في أجسامهم، وعلينا أن لا ننسى أن الله سبحانه وتعالى يراقبنا في كل ما نقوم به من أعمال أو حركات وكلمات، وتتابعنا الملائكة أيضاً في هذه الحياة الدنيا، وعلاوة على ذلك تقوم أعضاؤنا بدور المعترف عن كل تصرفاتنا، سواء أكانت في الخير أم الشر، عندما يستنطقها الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النور : 24) وتحدث الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، في الجزء الثالث في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن منكرات الشوارع، مبيناً أهمية المحافظة

1. أ.د. عبد الله الرحيلي، الأخلاق الفاضلة، ص96.
2. سنن النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، ذكر شعب الإيمان، وصححه الألباني.

على نظافتها، وعدم إلقاء أي شيء فيها يعوق المارَّة، أو يضيق على الناس، أو فيه إيذاء لهم.[1]

تغيير معالم الطريق:

إن تعامل المرء في حياته ينبثق من أخلاقه، فحث الإسلام على حسن الخلق، ويظهر ذلك من تعامله في كل شيء، فلا تظهر أخلاق الناس في صلواتهم، ولا في صيامهم، ولا في حجهم، وإنما تظهر في الأسواق عند التعامل بالدرهم والدينار، وعند المصاهرة، وعند أداء حقوق الوالدين والأرحام، وتقسيم الميراث، وعند السفر، وعند مراقبة حدود الله، واحترام الطرقات، وعدم إلقاء القاذورات فيها والأوساخ، وما يؤذي الناس، واحترام حقوق العباد هو ميزان الأخلاق. وقد روى الإمام مسلم من حديث علي، رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ"[2] أي غيّر مراسمها ومعالمها، كالعلامات التي على الطرقات، فلا يجوز لأحد من الناس أن يقوم بتغيير هذه الأعلام، أو طمثها حتى يضلَّ الناس في طرقاتهم، فالطريق من الأمور العامة التي ينتفع بها الناس جميعاً، وتغيير معالمها فيه إلحاق أذى بالناس، وقد جاء هذا التحذير الشديد من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وتغيير معالم الطريق له صور عديدة غير ذلك، فلا يجوز للشخص أن يخصّ نفسه بشيء في الطريق العام، كأن يتخذ موقفاً لدابته، أو سيارته في طريق المارَّة.[3]

ونلاحظ أن بعض الناس يقومون بالاعتداء على الطرق بوسائل وأساليب عدة،

1. انظر أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص938.
2. صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.
3. مجلة الأزهر، أ.د. نادي عبد الله محمد، العناية بالطرقات، تشرين الأول، 2017م، ص264.

منها: توسيع بيته على حساب الطريق، خاصة عند البناء في أخذ مساحة من الطريق، وبذلك يضيق على الجيران والمارة، ومنهم من يضع مخلفات البناء، وأشياء لا تلزمه في الطريق، ما يعوق حركة المارة، وتمكث هذه الأشياء فترات طويلة قد تصل إلى سنوات دون أن يزيلها، وفي هذه التصرفات إيذاء كبير يقع على الناس، من جيران، ومارة، وغيرهم.

الطريق مسؤولية دينية وحضارية:

للأسف نلاحظ في العصر الحديث أن بلاد غير المسلمين تعتني بالطرقات، ونظافة الشوارع وترتيبها وتنظيمها دلالة على الرقيّ والتقدم مقارنة بما نراه في بلاد المسلمين في هذه الأيام، إذ إن بعض المسلمين فُقِدت منهم أخلاق ديننا الحنيف، التي يتبناها الأجانب هذه الأيام بعد أن عرفوها، وشعروا بسعادة في دنياهم على قدر ما أخذوا من تعاليم منهجنا، أما نحن فنعيش أزمة في التعامل مع هذا المنهج، حيث أصبحنا أوعية لحفظه دون العمل به، وذكرت الدكتورة الألمانية "زيغريد هونكه" في كتابها: "شمس العرب تسطع على الغرب" فضل العرب على أوروبا في الفصل الأول منه، الذي عرضته في العدد (160) من مجلة الإسراء: "كان الأوروبيون قذرين، ولا يغتسلون إلا مرة أو مرتين في السنة، ولا يغسلون ملابسهم؛ كيلا تتمزق، ثم نقلوا الحمامات التي كانت منتشرة عند العرب في كل مكان، فعرف الغرب النظافة من العرب".[*]

لذا، فالطريق ليس مجرد ممر نعبره للوصول إلى مكان آخر، بل هي مرفق عام ومسؤولية مشتركة، والمحافظة عليها من مظاهر الرقي والتحضر، ومن هنا فإن

* مجلة الإسراء، يوسف عدوي، عرض وتقديم كتاب شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، العدد 160، ص-81ص82.

المحافظة على الطرق وتنظيفها، وإزالة النفايات منها، واحترام المارة، كلها سلوكات تعكس أخلاق أبناء المجتمع ووعيهم الحضاري، والاهتمام بالطرقات والعناية بها مسؤولية الجميع؛ لأنها مسؤولية دينية ووطنية وحضارية.

فالطريق ملك للجميع، وحق للجميع، وأمانة في أعناق الجميع، ونظافتها وسلامتها عنوان لوعي المجتمع ورقيّه، ولا نريد أن نجعل من ديننا ديناً فلوكلورياً فقط: صورة الكعبة في البيت، ومسبحة في الجيب، وقرآن في السيارة، وفي معاملاتنا نكون أجهل من أبي جهل نفسه، كما يقول بعض المفكرين والباحثين.

الخاتمة:

العناية بالطرق ليست مسؤولية جهة بعينها، بل هي مسؤولية مشتركة تبدأ من الأسرة، وتمتد إلى المجتمع برمته، وتتكامل مع دور المسؤولين والمؤسسات والبلديات، ووسائل الإعلام، ودور العبادة، فالأهل مطالبون بتربية أبنائهم على احترام الطريق وعدم إلقاء النفايات فيها، أو إتلاف مرافقها، أو إعاقة المارة، كما أن على الكبار أن يكونوا قدوة حسنة للصغار في السلوك الحضاري. وعلى المؤسسات والمسؤولين أن يوفروا الطرق الآمنة والنظيفة، وأن يحافظوا على صيانتها، وعلى المساجد ودور العبادة أن تؤدي دوراً مهماً في التوجيه والتذكير بأن إماطة الأذى عن الطريق خلق كريم، وقيمة دينية وحضارية وإنسانية.



في ذكرى وفاة الصديق رضي الله عنه محطات من مناقبه وفضائله

الشيخ د. أحمد شوباش/مفتي محافظة نابلس/عضو مجلس الإفتاء الأعلى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

تتفق مراجع كتب الصحابة، رضي الله عنهم جميعاً، على أن وفاة أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، كانت في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وعلى قول أكثرهم عشي يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة، وقيل لتسع ليال بقين يوم الجمعة، وقيل عشي يوم الإثنين، وقيل ليلة الثلاثاء[*].

تشير تلك المراجع إلى أن أبا بكر، عبد الله بن أبي قحافة،رضي الله عنهما، كان اسمه في الجاهلية: عبد الكعبة، سماه رسول الله،صلى الله عليه وسلم،عبد الله، وأبو قحافة هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي.

---

* ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 3 /977، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ - 1992م. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، 3 /330، المحقق: علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، 4 /150، تحيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ

وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب، واسمها سلمى ابنة عم أبيه، ولد بعد حادثة الفيل بسنتين وستة أشهر. ويلتقي مع النبي، صلى الله عليه وسلم، في الجد السادس مرة بن كعب.

ويتفق علماء السِّير أن أبا بكر، رضي الله عنه، شهد بدراً مع رسول الله،صلى الله عليه وسلم، ولم يكن رفيقه من أصحابه في هجرته غيره، وكان مؤنسه في الغار، وهو أول من أسلم من الرجال، وأول من صلى مع النبي، صلى الله عليه وسلم، وكان يقال له عتيق، لجماله وعتاقة وجهه، أو لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به، وقيل كان له أخوان أحدهما يسمى عتيقاً، فمات قبله، فسمي باسمه، وقال آخرون: لأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ"(*)، فضلاً عن سعة علمه، وفقهه وحلمه، وسخائه ورفقه، وكثرة فضله.

كان في الجاهلية وجيهاً رئيساً من رؤساء قريش، كانت إليه الديّات؛ فكان إذا حمل شيئاً منها صدقته قريش وأمضته، وأسلم على يديه الزبير وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف، وأعتق سبعة كانوا يعذبون في الله، منهم؛ بلال وعامر بن فهيرة، صدَّق النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم كذبه الناس، وقدّم أمواله كلها في الهجرة، ويوم تبوك، وصار خليفة لرسول الله،صلى الله عليه وسلم، بعد موته، فأنفذ بعث أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، وسيّر الفتوحات، وجمع القرآن، وحارب المرتدين، وحكم

* المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، أبو بكر بن أبي قحافة، 3 /64، قال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، 1411هـ - 1990م. وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير بلفظ: " أنت عتيق من النار " قاله لأبي بكر، ورمز له الألباني بالصحة. الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، 1 /311، ط المكتب الإسلامي.

الناس بالعدل والرفق، رضي الله عنه،وعن الصحابة أجمعين، و"قد علم بالتواتر أن أبا بكر كان محبّا للنبي، صلى الله عليه وسلم، مؤمناً به، من أعظم الخلق اختصاصاً به، أعظم مما تواتر من شجاعة عنترة، ومن سخاء حاتم، ومن موالاة عليّ ومحبته له، ونحو ذلك من التواترات المعنونة فيها الأخبار الكثيرة على مقصود واحد"[1].

وفيما يأتي محطات من مناقبه وفضائله، كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، وبعض مواقفه التي استحق بها أن يكون صدِّيقاً، وخير الناس في أمة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، بعده.

أبو بكر الصديق صاحب النبي، صلى الله عليه وسلم:

ذكر القرآن فضل الصديق في آيات عدة، منها تلقيبه بالصاحب، قال البخاري: "باب مناقب المهاجرين وفضلهم، منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة التيمي، رضي الله عنه، وقول الله تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}(الحشر: 8)، وقال الله: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} (التوبة: 40)، قالت عائشة: وأبو سعيد وابن عباس، رضي الله عنهم: "وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الغَارِ"[2].

عن أنس عن أبي بكر، رضي الله عنه، قال: "قُلْتُ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَا

1. ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، 8 /434، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1406هـ - 1986م.

2. صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، المحقق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ

فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا"[1] وهذا مصداق قول الحق سبحانه: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(التوبة: 40)، فهذه شهادة الله جل تعالى لأبي بكر، رضي الله عنه، بالصحبة والكينونة مع النبي، صلى الله عليه وسلم، في الغار من دون الناس، وخروجه من توبيخ الخطاب في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ* إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة: 38 – 39)، وترك النصرة بالمسابقة إلى ما قعد عنه غيره، والمشاركة له فيما يحذر المطلوب، إذ لا نصرة أنصر ممن بذل نفسه للمكروه، وخرج مع المطلوب، يؤنسه في وحدته ويشاركه فيما يتقيه من محذور عدوه.[2]

قال ابن حجر: إن المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع[3]والفضيلة الحاصلة لأبي بكر، رضي الله عنه، في الهجرة، لم تحصل لغيره من الصحابة، بالكتاب والسنة والإجماع، وقد ثبت له دون عمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة، بخلاف الوقاية بالنفس

1. صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب المهاجرين وفضلهم.
2. القصّاب: نكت القرآن الدالّة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، 1 /535، تحقيق: علي التويجري، دار ابن القيم، دار ابن عفان، ط1، 1424هـ - 2003م.
3. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، 4 /148.

فقد حصلت بغير واحد، لكن الأفضلية تثبت بالخصائص وليس بالمشتركات، وأكثر فضائل أبي بكر خصائص له لا يشركه فيها غيره[1]، ومثل ذلك مقامه يوم بدر في العريش وخروجه إلى قبائل العرب مع النبي، صلى الله عليه وسلم، يدعوهم إلى الإسلام، وهذا حال الصاحب المحب المشفق الناصر المؤازر المؤيد.

أبو بكر الصديق الموصوف بالصدق:

جاء في وصف أبي بكر، رضي الله عنه، قوله تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} (الزمر: 33 - 34)، وقد اختلف المفسرون في معنى الآية[2] : فقال بعضهم الذي جاء بالصدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والصدق كلمة التوحيد، والذي صدق به هو رسول الله،صلى الله عليه وسلم، وقال آخرون الذي جاء بالصدق، رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والذي صدقه أبو بكر، روي ذلك عن عليّ، رضي الله عنه، وقال آخرون: الذي جاء بالصدق رسول الله،صلى الله عليه وسلم، والصدق القرآن والمصدق المؤمنون، وقيل جبريل جاء بالصدق وهو القرآن، والمصدق رسول الله،صلى الله عليه وسلم، وقال آخرون: الذي جاء به الصدق وصدق به هم المؤمنون عموماً، والصدق القرآن، وهذا القول الأخير هو ما رجحه الطبري، رحمه الله تعالى.

ولعل الصحيح في الآية العموم، لكن ذكر الآية في فضائل أبي بكر، رضي الله عنه،

1. ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، 7 /121.
2. الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 20 /204، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط1، 1422هـ - 2001م. ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، 4 /18، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422هـ

لدى العلماء، دلالة على أولوية دخوله فيها، وأنه أول من صدق من هذه الأمة، وأول من دخل بعد النبي، صلى الله عليه وسلم، في جماعة المؤمنين والمتقين والمحسنين، قال ابن تيمية: " لفظ الآية عام مطلق لا يختص بأبي بكر ولا بعلي، بل كل من دخل في عمومها دخل في حكمها، ولا ريب أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي أحق هذه الأمة بالدخول فيها، لكنها لا تختص بهم[1]".

أبو بكر الصديق الصالح:

جاء قوله تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} (التحريم: 4).

فعن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله تعالى: {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} أبو بكر وعمر[2]، وعن الضحاك قال: أخيار المؤمنين أبو بكر وعمر[3]، وقد صوَّب الطبري عموم المقصود بالآية، وهو قول ابن تيمية[4] فهي تشمل المؤمنين والأنبياء.

ورجح غيره أن المراد بالآية الخصوص، يقول الواحدي: "وأظهر هذه الأقوال قول من قال: إن المراد بصالح المؤمنين أبو بكر وعمر؛ لأن الخطاب في هذه الآية لابنتيهما عائشة وحفصة، وكأنه قيل لهما: إن تعاونتما على إيذاء النبي، صلى الله عليه وسلم، فإن أبويكما لا يوافقان كما ولا يتظاهران معكما، فإنهما وليّا رسول الله، صلى الله

1. ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، 7 /190.
2. ابن حنبل: فضائل الصحابة، 1 /128، المحقق: رضي الله محمد عبّاس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1403هـ - 1983م. الطبري: جامع البيان، 23 /97.
3. ابن حنبل: فضائل الصحابة، 1 /167. الطبري جامعة البيان، 23 /97.
4. الطبري: جامع البيان، 23 /98. ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، 4 /294.

عليه وسلم.[1]

أبو بكر الصديق الأتقى:

آيات نزلت في أبي بكر الصديق، قوله تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى}

(الليل: 17 – 21).

قال ابن كثير: "وقد ذكر غير واحد من المفسرين، أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شكَّ في أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها العموم، وهو قوله تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في هذه الأوصاف، وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صدِّيقاً تقياً كريماً جواداً، بذالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله،صلى الله عليه وسلم، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منَّة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من أهل القبائل"[2]، وقال ابن عاشور: اتفق أهل التأويل على أن أول مقصود بهذه الصلة أبو بكر الصديق،رضي الله عنه، لمّا اعتق بلالاً.[3]

---

1. الواحدي: التفسير البسيط، 22 /18، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430.
2. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 8 /422، المحقق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.
3. ابن عاشور: التحرير والتنوير، 30 /391، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

فأئمة التفسير يقولون أنه أبو بكر، وقولهم صحيح بالدليل، فإن الأتقى قد يكون نوعاً، وقد يكون شخصاً؛ فإن كان نوعاً فهو يجمع أشخاصاً بعضهم أتقى من بعض، ومن الباطل انتفاء وجود شخص فيهم هو الأتقى، والأتقى من يحسن إلى الناس لا على سبيل المجازاة، بل ابتغاء وجه الله، وأحق الناس بذلك أبو بكر، رضي الله عنه، الذي لا منة لأحد عليه، ولما كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يقدم الصدِّيق في المواضع التي لا تحتمل المشاركة كاستخلافه في الصلاة والحج، والصحبة في الهجرة، وتمكنه من الخطاب والحكم والإفتاء، كان الأجدر برتبة الصدِيق والأتقى في الأمة، والأفضل من كل الأتباع والأصحاب[1].

أبو بكر الصديق ذو الفضل والعفو، الوقّاف عند كتاب الله:

قالت عائشة: "ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ} - إِلَى قَوْلِهِ - {غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 22]، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا"[2].

معنى الآية: لا يحلف ذوو الفضل والإحسان والصدقة والجدَة، ألا يصلوا قراباتهم المساكين والمهاجرين، وذلك بالترفق والعطف عليهم صلة للرحم، وليعفو عما تقدم من الإساءة والأذى، فمسطح ابن خالة أبي بكر، رضي الله عنه،وكان من المؤمنين

1. ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، 7 /376 وما بعدها، 8 /493 وما بعدها.
2. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك والأَفَك.

والقلة الذين شهدوا بدراً، لكنه وقع في ذكر عائشة، رضي الله عنها،بالسوء متابعة لمقالة رأس النفاق، من غير تبين واستدلال، فدعا المولى أبا بكر، رضي الله عنه، للعفو عنه، وهذا من حلم المولى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم[1]،وقد أجمع أهل التفسير على أن الآية نازلة في قصة أبي بكر ومسطح[2]، إلا أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة، بأن لا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف أن لا ينفع من هذه صفته أبد الدهر[3] .

أبو بكر الصديق يعاتبه مولاه:

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} (الحجرات: 2 – 3).

عن ابن أبي مُليكة قال: "كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ - قَالَ نَافِعٌ: لاَ أَحْفَظُ اسْمَهُ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ فَارْتَفَعَتْ

1. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 6 /31.
2. الواحدي: التفسير البسيط: 16 /173.
3. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 12 /207، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1384هـ - 1964م. ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 4 /173، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ

أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ} [الحجرات: 2] "الآيَةَ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: «فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ"[1].

أبو بكر الصديق أخو النبي، صلى الله عليه وسلم، وحبيبه، وبابه إلى المسجد، لا يسدّ.

عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله،صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ"[2].

واصل الخُلّة الافتقار والانقطاع، فخليل الله المنقطع إليه أو لقصره حاجته على الله، وقيل الخلّة الاختصاص أو الاصطفاء، وسمي إبراهيم خليلاً؛ لأنه والى في الله وعادى في الله، أو لأنه تخلَّق بخلال حسنة، وأخلاق كريمة، وقيل: الخليل من لا يتسع قلبه لغير خليله، وهي درجة تفوق المحبة، أو توازيها على خلاف بين العلماء، وكل الأبواب إلى المسجد، لا تبقى مفتوحة إلا باب أبي بكر، وفي رواية مسلم: لا تبقين في المسجد خَوْخة، وهي الباب الصغير بين البيتين، وفيه فضيلة وخصيصة ظاهرة لأبي بكر، رضي الله عنه، وأن المساجد تصان عن تطرّق الناس إليها[3].

1. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: 2] الآيَةَ.
2. صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر».
3. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 15 /151، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

وفي رواية ابن عباس، رضي الله عنهما، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي"[1] وعن عمرو بن العاص، رضي الله عنه: "أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: " أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» -فَعَدَّ رِجَالًا- "[2].

أبو بكر الصديق فضله بعد فضل النبي،صلى الله عليه وسلم:

عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: "كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ، بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ "[3].

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه: "أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، شَيْئًا (فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ -كَأَنَّهَا تُرِيدُ المَوْتَ- قَالَ: إِنْ لَمْ تَجِدِينِي، فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ)[4].

وفي هذه الأحاديث دليل لأهل السنة في تقديم أبي بكر، ثم عمر، للخلافة مع إجماع الصحابة على فضيلته وتقديمه لفضيلته.[5]

---

1. صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا».
2. صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا».
3. صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، بَاب فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
4. صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف.
5. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 15/154.

أبو بكر الصديق يجمع خصالاً أهلّته لدخول الجنة من سائر أبوابها.

شهد النبي، صلى الله عليه وسلم، لأبي بكر بدرجة الصدِّيقية، وبفضله في الإسلام، ومن ذلك أن أنس بن مالك، رضي الله عنه،"حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ".[1]

والمراد بالصديق أبو بكر، وبالشهيدين عمر وعثمان، رضي الله عنهم، باتفاق العلماء.

وقد ورد عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ، - يَعْنِي الجَنَّةَ، - يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ، وَبَابِ الرَّيَّانِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، وَقَالَ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ"[2] .

فقوله: "من أنفق زوجين في سبيل الله" أي من أنفق شيئين من أي صنف من أصناف المال، نحو درهمين وبعيرين وشاتين، "وفي سبيل الله": أي طلب ثواب الله، وهو يشمل العبادات كلها، وهنا الأبواب المذكورة أربعة، ويكملها باب الحج، وباب

1. صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا».

2. صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلًا».

الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وباب المتوكلين، وباب الذكر، فهذا مجموع أبواب الجنة الثمانية، وقوله: "ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة": فيه إشعار بقلة من ينادى من تلك الأبواب كلها، ومنهم أبو بكر، رضي الله عنه، وقد تشكل مسألة الإنفاق في الصلاة ونحوها، قالوا: الانفاق بالصلاة من تحصيل آلاتها من طهارة للثوب والبدن والمكان، وفي الصيام من خلوص القصد، وفي العفو من ترك ما يجب له من حق وهكذا.

وفي الحديث دلالة على أن اجتماع أعمال البر قل أن تحصل في شخص واحد على السواء.[1]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»"[2].

قال النووي نقلاً عن بعض أهل العلم: معناه دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى.[3]

وبعد؛ فهذه بعض المحطات الثابتة في فضل أبي بكر الصديق،رضي الله عنه، من كتاب الله وسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الصحيحة، راجياً الانتفاع بها، والسير على هداها مع الإيمان بمكانة الصديق، رضي الله عنه، وفضله.

1. ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، 7 /29، دار المعرفة - بيروت، 1379.
2. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة، وأعمال البر .
3. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 15 /156.



الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي

عثماني النزعة والروح

د. حمزة ذيب مصطفى أبو صبيحة

سبق لي أن كنت أحد كتاب صحيفة القدس منذ ما يقرب من الأربعين عاماً دون انقطاع، وقد كنت في مطلع شبابي مولعاً بالكتابة في الصحافة، حيث هي منبر إعلامي كان مهماً جداً في السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، ولعهد قريب قبل أن ينفتح الناس على الفيس بوك والإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، التي أدت إلى زهادة الناس والقراء بوجه عام في الصحافة، حيث يتوافر كل شيء للناس على الهاتف النقال الذي يُحمل في الجيب أو الحقيبة. وبالتالي فإن الواحد من الناس قد استغنى تقريباً عن الصحافة المقروءة، لا سيما أن الصحيفة متوافرة على الإنترنت، وعلى موقعها الإلكتروني كل يوم.

أخلاق سليمان الراجحي ومآثره:

الذي هز عطفيَّ للكتابة اليوم هو نبأ رحيل المصرفي الكبير، والمحسن الجليل، عثماني النزعة، سليمان بن عبد العزيز الراجحي، حيث ودعته الأمة الإسلامية بقلوب يعتصرها الألم الشديد، وبأفئدة غَمْرى بالحزن، وبأرواح القداسة والطهر والنقاء، والذي هو أُمَّةٌ في رجل، وكثير في قليل، وعظيم في جرم صغير، حيث توفاه الله في الخامس من شهر تموز، لعام ست وعشرين وألفين للميلاد (5 /7 /2026م) وإذا

كان الشاعر الكبير الحسين بن مطير قد قال في معن بن زائدة، الذي اشتهر بالجود والسماحة والكرم، ما قاله، والذي فيه:

ألمَّا على معن وقولاً لقبره *** سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

أيا قبر معن كنت أول حفرة *** من الأرض خطت للسماحة مضجعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده *** وقد كان منه البر والبحر مترعا؟

بلى قد وسعت الجود والجود ميت *** ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فلما مضى معن مضى الجود والندى *** وأصبح عرنين المكارم أجدعا

فلو قدر للشاعر الحسين بن مطير أن يلتقي أو يعاصر المحسن الكبير، صاحب الجود والسماحة والعطاء، سليمان بن عبد العزيز الراجحي، ماذا سيقول؟! وقد فاق معنا وعلا كعب جوده جود معن؟

وكأني بالمتنبي إذ يقول لحظة الحزن هذه:

من مبلغ الأعراب أني بعدها شاهدت رسطاليس والإسكندرا

ولقيت كل الفاضلين فكأنما جمع الإله نفوسهم والأعصرا

قد تشاهد خلفاً لم تشاهده سلفاً، وإن كان الأمر كذلك فهاهو العملاق العظيم اقتصاداً وعطاء سليمان الراجحي، أحد هؤلاء الذين عز التاريخ أن يكون مثله كثير في الأمة، أو الأزمنة الغابرة.

من الأزمنة ما تكون أحداثها حكماً وشاهداً على إنسان، ومن الأزمنة من يكون بعض من فيها حكماً وشاهداً على زمانه كله.

فهنيئًا لمن كان حكماً وشاهداً على زمانه برمته، ولا أخال سليمان الراجحي إلا واحداً من هؤلاء.

من الناس من يركض خلف التاريخ والأزمنة علها تخلده أو تسطر رسالة منه في الحياة، أو تترك له مساحة يسيرة في فضائها أو جزءاً يسيراًمما تملكه، وفي المقابل؛ من الناس من يركض خلف التاريخ، وتركض خلفه الأزمنة،علهاتحظى ببلالة من ريقه أو بيسير من عذوبة أعماله وفضائله ورحيقها، علها تفخر به في صفحاتها الناصعة وتكتب له الخلود بفخار وعز على قرطاسها اللامع. لا أخال سليمان بن عبد العزيز الراجحي إلا واحدا من هؤلاء الندرة الخيرة البررة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

نشأة سليمان الراجحي:

ولد الجواد الكريم سليمان بن عبد العزيز بن صالح الراجحي في 30 /11 /1928م في منطقة البكيرية، وهي إحدى محافظات القصيم، وكان يسكن بجوار سكناي نائب رئيس بلدية البكيرية الأسبق، وذلك أثناء إقامتي في المملكة العربية السعودية في البلد الحرام في مكة المكرمة، وكان ذلك سنة خمس وثمانين وتسعمائة وألف (1985م). وكانت مدينة البكيرية في أثنائها مدينة متواضعة في عدد سكانها، وما تحويه من مبانٍ ومؤسسات ومنشآت، ثم أخذتْ في التطور والنهضة والإعمار والبنيان والمنشآت والمؤسسات حتى غدت محافظة في منطقة القصيم، التي تشتهر بزراعة النخيل الفاخر.

نشأ الشيخ الجليل والمحسن العظيم، عثماني النزعة في البكيرية، ضمن عائلة فقيرة، ونظرًا لعسرة الحياة في البكيرية، اضطر والده للانتقال بأسرته إلى الرياض. وهناك وعلى ثرى تلك المدينة تلقى الجواد الراجحي تعليمه، ثم التحق بالعمل والتجارة. فعمل في بداية أمره حمَّالاً وحارساً لبضاعة التجار في السوق، وأثناء فراغه كان يتتبع الإبل لجمع ما يسقط منها من حطب لبيعه في السوق. كما عمل في البناء

وغيرها من المهن، واكتسب خبرة جيدة بأحوال السوق، ودراية بطرق التعامل مع مختلف الفئات والعقول وبانت له سبل التجارة، حتى ولج هذا المضمار. ما حدا به أن يبدأ تجارته بفتح بقالة صغيرة في الطريق الرئيس في حي المربع في الرياض. كان يبيع فيها كثير من السلع، مثل السكر والشاي والكبريت والحلوى وغيرها، وكان يأتي ببعض المنتوجات التي لا تباع إلا في البحرين، خاصة الحلويات. واستمر في هذا الميدان الصغير والبسيط حتى سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافق لعام خمس وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد (1365هـ - 1945م) فباع بقالته كي يستعين بثمنها على زواجه. وبعد ذلك انتقل بعائلته إلى مدينة جدة كي يعمل مع أخيه وشقيقه الأكبر صالح في محله في مدينة جدة. وكان محلاً خاصاً بالصرافة في جدة ومكة المكرمة. وأثناء ذلك جد واجتهد، وأظهر إخلاصاً ونشاطاً في العمل. وكان من ضمن هذا الاجتهاد والإجهاد أن كان يحمل الطرود والأمانات على ظهره كي يوصلها إلى المطار، قاطعاً ما يزيد على العشرة كيلو مترات، ليوفر أجرة الحمال والنقل. كما عمل أيضاً في تجارة الأقفال والأقمشة ومواد البناء وسواها، بمعنى مارس معظم أنواع التجارة. ثم قرر بعد أن بدأت الأعمال والتجارة في النمو والتوسع أن يستأجر محلاً صغيراً تحت مسجد عكاشة في مدينة جدة.

وبعد مضي أحد عشر عاماً من العمل مع شقيقه الأكبر صالح، اتفق الاثنان على تحويل ذاك المحل ليكون شراكة بينهما.

دخول عالم العقار:

استمر الشيخ الجليل والمحسن الكبير بالعمل في هذه الشراكة، وقام أثناء ذلك بدخول عالم العقار والعمل به، وأخذ في التوسع فيه إلى أن قرر هو وشقيقه بإنهاء الشراكة ليقوم كل واحد منهما بالعمل وحده، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة

وألف للهجرة، وفق الحادي والسبعين وتسعمائة وألف للميلاد (1391هـ – 1971م).

ثم بدأ بالعمل وحده، بعد هذا التاريخ الحافل بالنشاط والدآبة والعزيمة المضاء والإخلاص الكبير. فقام بتأسيس "مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي"،ولكل مجتهد نصيب، وأخذ في التوسع فقام بفتح عدد من الفروع في مدينة جدة وغيرها، مع حرصه على عدم فتح أية فروع في منطقة الرياض احتراماً لنشاط شقيقه الأكبر الشيخ صالح الراجحي. كما جمع إلى ذلك نشاطه في مجال العقار حتى ذاع صيته واشتهر في الأوساط التجارية بالأمانة والصدق والنزاهة، ثم قرر الأشقاء الأربعة العمل من جديد بصورة مشتركة، وفُوِّض الشيخ سليمان ليدير العمل بشكل رئيس، وتم تأسيس "شركة الراجحي للصرافة والتجارة"، التي تركز عملها الرئيس على مجال الصرافة والعقارات.

كريم جواد معطاء:

لم تعرف نفس هذا المحسن الشح يوماً، ولم يضنَّ على أحد سأله بالعطاء وأخذ بالإنفاق في وجوه الخير يمنةويسره، وقصته مع أستاذه الفلسطيني ذائعة الصيت قد طارت بها الركبان، والتي تنم عن وفاء وبر وإحسان ونبل وعطاء عظيم. كما أوقف ثلثي ثروته، والتي تقدر بقرابة الستة مليار دولار في سبيل الله على الأعمال الخيرية.

وتعد مزرعته التي أوقفها في سبيل الله أعظم وأكبر وقف خيري على وجه الأرض، حيث يقدر عدد النخيل فيها بمائتي ألف نخلة (200,000) واسمها (مزرعة الراجحي) وهي بمنطقة القصيم، أوقفها كلها على الجمعيات الخيرية، وعلى الحرمين الشريفين للإفطار في شهر رمضان المبارك.

هنيئاً لهذه النفس الزكية والروح الرضية والعظمة الإنسانية

اقرأ وتذكر

أ. إيمان تايه / رئيس قسم النشر والتوزيع/ دار الإفتاء الفلسطينية

علق قلبك بالله

وهن عظمه، واشتعل رأسه شيباً، وكانت امرأته عاقراً، لكنه كان يعرف أن الأسباب تحكم الناس، ولا تحكم الله، فرفع يديه ودعا: {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} (مريم: 5) فجاءته الاستجابة: {يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ} (مريم: 7)

فمن علَّقَ قلبه بالأسباب، تركه الله إليها! ومن علَّقَ قلبه بالله، هيأ له الأسبـــــاب.

أحسن اختيار الألفاظ

فكر قبل أن تتكلم، كي لا تفكر فيما تكلمت، فالتفكير الأول تهذيب، والثاني تأنيب، بلسانك ترتقي، وبلسانك تحترم، وبلسانك تترك أثراً لا يُنسى، فأحسن اختيار كلماتك؛ فإن بعض الكلام لا يُنسى.

الأمل بما هو آتٍ

تظنُّ أنك خسرت، والحقيقة أنّ ما خسرته تمهيد لمكسب عظيم سيكافئ الله قلبك به.

وتظنُّ أنك حُرِمت، والحقُّ أنك رُحِمت، وتظنُّ أنّ الله ابتلاك، والحقيقة أنّه نَجَّاك، وتظنُّ أنّ الأوان قد فات، ويكون الأجمل ما هو آت.

فرج الله قريب

يقول جل ذكره: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} (الطلاق: 2).

ومن شواهد الفرج التي عاشها الصالحون، وما كان لمريم، عليها السلام، التي خاطبها الله بقوله: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} (مريم: 25).

لم يتأثر الرطب بسقوطه على الأرض رغم نضجه ولينه، وهكذا الفرجُ، يأتي المكروب غضاً طرياً، تطغى حلاوته على مرارة الوجع، وتبقى معجزات الله أوسع من حدود أحلامنا.

انتبه ...

يقول تعالى في سورة الأنفال: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}(الأنفال:30)

وعقب الله على ختم أحداث قصة يوسف، عليه السلام، بقوله جل شأنه: {ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ} (يوسف:102)

الكيد لا يغلب قدر الله، قال تعالى: {وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}(الأنبياء: 70)

قد يخططون في الخفاء، ويظنون أن الطريق صار لهم، لكنَّ اللّٰه قادرٌ أن يجعل كل ما دبروه سببًا في خسارتهم، فلا تخف من كيد وراء ظهرك، يكفي أن تدبير اللّٰه فوق تدبيرهم.

رحمة اللطيف

قبل ختم سورة يوسف بعشر آيات، يقول سبحانه: {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (يوسف: 100)

فبُعد يوسف عن أبيه كان لُطفاً، ورميه في الجب لُطف، وشِراؤه بثمن بخس لُطف، وفتنة العزيز لُطف، وسِجنه لُطف، وخروج الفتيان قبله وبقاؤه بضع سنين لُطف، ثم بعد ذلك أصبح وزيرًا، الخيرة فيما اختاره الله، أتضيق صدورنا للبلاء بعد رحمة اللطيف؟!

والله تعالى يقول: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} (الشرح: 5 - 6)

فلم يقل بعد العسر، بل قال {مَعَ} العسر، فمع كل وجع، هناك لطف خفي من الله يحيط بك، قد يؤخر الله الفرج ليطهرك، وقد يطيل البلاء ليقربك، وقد يمنع عنك ما تحب، ليعطيك ما تحتاج.

معادلة الحياة

الحياة كلها في آيتين: قال تعالى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} (طه: 123)

وقال سبحانه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه: 124)

هذه معادلة الحياة وما على الإنسان إلا أن يختار، ومَن ابتعد عن الله، ضاق به كلُّ شيء.



فؤادٌ منكسر

أ. زهدي حنتولي / دار الإفتاء الفلسطينية

سلامٌ يا أبي من شوقِ قلبي ... وأدعو الله رحماتٍ ونورا
وتغشاك السكينة في جنانٍ ... وتُسقى من مشاربها طهورا
ويجزيكَ الكريمُ بكلِّ خيرٍ ... ويُدْخِلُكَ الجِنانَ بها سُرُورا
وذكركَ حاضرٌ في كلِّ ركْنٍ ... "أبا زهدي" يفوح بهِ عطورا
عزائي عن غيابك أنّ روحي ... تراك ولم تغب عنها حضورا
وأدعو الله في سرّي وجهري ... بأن تلقى بجنّتهِ السرورا
تركت لنا جميل الذكر حيّاً ... وأطيافاً نضيء بها الدهورا
غيابك يفقد المعنى حياةً ... وفقدك يفقد الإصباح نورا
غيابك ينطق الجدران صمتاً ... وذكركَ يملأ الدنيا حضورا
ولا حزن يوفِّي عمْق فَقْدٍ ... ولا قَلَمٌ يصوِّرُ لي شعورا
ولو أنَّ المشاعرَ من حروفٍ ... لسالَ الدمعُ من قلمي بحورا

رَحَلْتَ وَلَمْ تَزَلْ حَيًّا بِقَلْبِي ... تَضُوعُ مَكَارِمًا وَشَذًى عَبِيرَا
وَكُنْتَ لِيَ السِّرَاجَ بِكُلِّ دَرْبٍ ... وَكُنْتَ عَلَى الزَّمَانِ لِيَ النَّصِيرَا
وَفَاؤُكَ مَشْعَلٌ يَهْدِي طَرِيقِي ... وَيَبْعَثُ في حَنَايَايَ السُّرُورَا
وَفَاؤُكَ في المَدَى ظِلٌّ ظَلِيلٌ ... يُظَلِّلُ خَاطِرِي بَرْدًا وَنُورَا
لَكَ الجَنَّاتُ تُسْقَى مِنْ رَحِيقٍ ... وَتَلْقَى الفوز والرَّوْضَ النَّضِيرَا

باقة من نشاطات
مكتب المفتي العام
ودوائر الإفتاء في محافظات الوطن



إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير عام مكتب المفتي العام

سيادة الرئيس الفلسطيني يلتقي سماحة المفتي العام

رام الله: التقى سيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس "أبو مازن" حفظه الله سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، الذي رفع إلى سيادته التقرير السنوي لدار الإفتاء الفلسطينية، المتضمن أبرز إنجازات دار الافتاء خلال العام الماضي 2025م، وناقش سماحته مع سيادته الأوضاع الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني في مدينة القدس المحتلة جراء سياسة الاحتلال والحصار المفروض على المدينة المقدسة، بالإضافة إلى الانتهاكات المقترفة والاعتداءات ضد المقدسات الفلسطينية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، وقد أشاد سيادته بدار الإفتاء الفلسطينية



وانجازاتها، مؤكداً أن القدس الشرقية بمقدساتها الإسلامية والمسيحية هي العاصمة الأبدية لدولة فلسطين.

نائب الرئيس يلتقي سماحة المفتي العام

رام الله: التقى سيادة الأخ حسين الشيخ نائب رئيس دولة فلسطين، سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، وتمحور اللقاء حول آخر التطورات والمستجدات في مدينة القدس المحتلة بشكل عام ، والمسجد الأقصى المبارك بشكل خاص، في ظل استهداف المقدسات الفلسطينية والمرجعيات الدينية في القدس وسائر الأراضي الفلسطينية، وأكد سماحته على ضرورة استمرار الجهود الوطنية والدينية والدبلوماسية لحماية المسجد الأقصى المبارك، والحفاظ على هويته ومكانته، والتصدي لمحاولات سلطات الاحتلال فرض سياسة الأمر الواقع في المدينة المقدسة ومسجدها الأقصى المبارك، وشدَّد سيادة نائب رئيس دولة فلسطين على ضرورة تكثيف المساعي والجهود الدبلوماسية على المستويات عامة من أجل حماية المسجد الأقصى المبارك، وصون مكانته الدينية والتاريخية والقانونية مع التأكيد أن القدس ومقدساتها جزء لا يتجزأ من أرض دولة فلسطين، والتحذير من خطورة استمرار هذه السياسة، وما



تحمله من تداعيات على الأمن والاستقرار في المنطقة، وأشاد بالدور الديني والوطني الذي تقوم به دار الإفتاء الفلسطينية وجهودها في تعزيز الوعي الديني، وترسيخ قيم التسامح والاعتدال، والحفاظ على الأمن المجتمعي والسلم الأهلي.

مجلس الإفتاء الأعلى

يُحَمل الاحتلال مسؤولية عربدة المستوطنين وإحراق المساجد

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية - رئيس مجلس الإفتاء الأعلى الجلستين الثامنة والثلاثين والتاسعة والثلاثين بعد المائتين لجلسات مجلس الإفتاء الأعلى، حيث حمل المجلس سلطات الاحتلال المسؤولية الكاملة عن أعمال العربدة والاعتداءات التي يقوم بها المستوطنون في الأراضي الفلسطينية كافة، وذلك بتوفير الحماية لهم خلال اعتداءهم على المواطنين وممتلكاتهم وأرضهم، مبيناً أن هذه السلطات لا تعمل على وقف هذه الاعتداءات والانتهاكات بحق المواطنين الأبرياء العزل، بل توفر الدعم والحماية لهم، وأدان المجلس سياسة حرق المساجد التي يقوم بها المستوطنون، بالإضافة إلى خط شعارات تهويد على جدران هذه المساجد، مطالباً جامعة الدول العربية والمؤسسات المحلية والدولية ضرورة التحرك لوقف هذه الممارسات وقطع الطريق على





المخططات التي تستهدف الوجود الفلسطيني وحقوقه الدينية قبل فوات الأوان، مع التأكيد على أن هذه الانتهاكات وصلت إلى درجات خطيرة جداً، وبلغت حداً فظيعاً من البشاعة والاستهتار بالأرواح والممتلكات.

مفتي محافظة نابلس يشارك في ندوات توعوية ونشاطات أخرى

نابلس: شارك فضيلة الشيخ الدكتور أحمد شوباش – مفتي محافظة نابلس- في ندوات عدة، منها ندوة بعنوان: "الضغوطات النفسية وكيفية معالجة الإسلام لها" والتي عقدت في مركز النشاط النسوي في مخيم بلاطة، نظمتها الإدارة العامة للعمل النسائي بالتعاون مع دار الإفتاء الفلسطينية، وفي مجلس قروي تل، وفي مسجد أبو خليل في عصيرة الشمالية، وفي جمعية الحرية في منطقة المساكن الشعبية، بين فيها نماذج من الضغوطات النفسية التي تعرض لها الأنبياء والرسل، خاصة سيدنا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وبعض الصحابة الكرام، مع ضرورة التمسك بالعلاج القرآني والنبوي في مواجهة صعوبات الحياة.

وشارك في ندوة بعنوان: "التصوف بين التوسط والغلو" عقدت في صالون أفنان دروزة في منطقة جنيد، نظمها صالون أفنان دروزة بالتعاون مع دار الإفتاء الفلسطينية، بهدف بيان كيفية نشأة التصوف، وأهم فرقه وشخصياته عبر التاريخ،

والاهتمام بالجانب الروحاني والحياة حسب الكتاب والسنة، وشارك في ورشة عمل بعنوان: "دراسة أثر اللجوء والتهجير على الأطفال من أبناء مخيمي نور شمس، وجنين، ضمن أعمال مجلس المراجعة المؤسسية عبر تطبيق zoom ، نظمها مجلس المراجعة المؤسسية بهدف تبيين المخاطر والآثار لهذه الدراسة والمنافع المرجوة منها، وأخرى بعنوان: "أمان المرأة أمان للجيل، ومسؤولية تربوية قانونية" نظمت عبر تطبيق zoom، في الملتقى التربوي الفلسطيني بهدف خدمة مسار تماسك أفراد الأسرة، خاصة الزوجين بالطرق الشرعية، وأحكام الدين في التعامل بينهما.

وشارك في فعالية رفع العلم الفلسطيني أمام مكتب بريد نابلس، بمناسبة انضمام فلسطين رسمياً لاتحاد البريد العالمي، وفي اجتماع عدد من العلماء ورجال دين سامريين ومسيحيين في مقر الأمن الوقائي، بهدف ترسيخ تفاهمات التعايش، ومواجهة التحديات التي قد يتعرض لها أتباع الشرائع، وفي اجتماع المجلس التنفيذي للمحافظة الذي عقد لبحث العديد من القضايا الحياتية، وفي الحفل الختامي الذي أقامته مديرية الشرطة بمناسبة يوم الشرطة الفلسطينية، وفي حفل تكريم أوائل جامعة النجاح الوطنية، وفي فعاليات إدراج مواقع سبسطية على قائمة التراث العالمي.



مسابقة العدد 186

السؤال الأول: من .... ؟

1. النبي الذي فلق الله البحر له
2. الصحابي الذي حرر لقاح النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم الرُّضّع
3. الذي دعا ربه بقوله: {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا}
4. صفته تعني قلة العقل، وفساد الرأي، وأنه لا يضع الأمور في مواضعها
5. صاحب كتاب: (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)

السؤال الثاني: من القائل ....؟

1. "ألحقوا الفرائض بأهلها"
2. "ما صدق عبد إلا سرَّه أن لا يشعر الناس بمكانه"
3. هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان
4. يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
5. مَرِضَ الحبيبُ فعدته فمرضت من حذري عليه
6. مَن مبلغ الأعرابَ أني بعدها شاهدت رسطاليس والإسكندرا

السؤال الثالث: ما...؟

1. سبب التخفيف عن المؤمنين بأن مكن الله للمائة الصابرة منهم ليغلبوا مائتين
2. أحب الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله
3. الحد الأعلى للوصية المشروعة
4. حمى الله
5. قرابة مسطح بن أثاثة بأبي بكر الصديق
6. المصطلح الذي يطلق على السجية والطبع والهيئة الراسخة التي تصدر عنها الأفعال من غير تكلف

السؤال الرابع: ما معنى...؟

1. لفظ "مه" الذي قاله الرسول، صلى الله عليه وسلم، لما ذُكر له أن امرأة لا تنام الليل وهي تصلي
2. "لكل شرة فترة"
3. اليقين في قوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}(الحجر: 99)
4. "غير منار الأرض
5. "من أنفق زوجين في سبيل الله"

السؤال الخامس: نعم أو لا...؟

1. الفتر يعني القوة
2. حنظلة الأسيدي من كُتّاب الرسول، صلى الله عليه وسلم
3. الروحة سير أول النهار إلى الزوال
4. أفضل الصوم صوم داود، عليه السلام
5. تواجه أمة الإسلام خطر الهلاك بِسَنَة عامة في آخر الزمان
6. الحسنات تحفظ وتنمى وتضاعف
7. يتساوى آكل الربا وموكله مع كاتبه وشاهديه في الإثم
8. تُقضى الصلاة التي تفوت فاقد الوعي عند المالكية
9. طرقات جمع الجمع لطريق
10. كان يقال لأبي بكر (عتيق) لأنه أعتق كثيراً من العبيد

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل

موزعة على ستة فائزين

بالتساوي

ملحوظات :

- تُرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- إرفاق صورة الهوية الشخصية مع إجابات مسابقات المجلة للضرورة.
- ترسل الإجابات إلى العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد **186**
مجلة الإسراء / الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام
دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف - ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 184

السؤال الأول: من .... ؟

1. الشافعي
2. صفية بنت حيي
3. آل داود
4. معاذ بن جبل
5. حاطب بن أبي بلتعة
6. فادي جلايطة
7. **القائل:**
1. الرسول، صلى الله عليه وسلم
2. عمر بن عبد العزيز
3. ابن تيمية
4. ياسين السعدي

السؤال الثاني: ما ..... ؟

1. العزل
2. شهر الله المحرم
3. الدين والعقل والنفس والمال والنسل
4. لا ينقض الوضوء
5. نجس
6. الظن
7. من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه
8. المركز الوطني الفلسطيني للتأهيل في بيت لحم
9. د. محمد نجم
10. الشرك بالله/والسحر/وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق/ وأكل الربا/ وأكل مال اليتيم/ والتولي يوم الزحف/ وقذف المحصنات الغافلات

السؤال الثالث: نعم أو لا ... ؟

1. نعم
2. نعم
3. نعم
4. لا
5. نعم
6. لا
7. لا
8. نعم
9. لا
10. نعم

الفائزون في مسابقة العدد 184

الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
أحمد فرح روبين سمحان	قلقيلية	250
ديما عايد أنيس عمري	جنين	250
منار عماد رمضان	رام الله	250
جهاد أحمد إبراهيم	ضواحي القدس	250
نادر محمد قراقع	بيت لحم	250
أحمد موسى هماش	بيت لحم	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عبر البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة، ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية أو حواش سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس: مجلة الإسراء / فاكس: 6262495 ص.ب: 20517
الرام : تلفاكس: 2348603 ص.ب 1862
E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps